الفصل السادس

خرافة الاصوات السحرية

✡

من الامور المسلم بها ، ان الاصوات اليهودية لعبت دوراً فعالاً في الاوساط السياسية النافذة بواشنطن . فلقد عمد الصهيونيون الى التهويل على رجال السياسة مستمدين قوتهم من هذه الاصوات ، ومن العطف الكبير الذي اغدق على اليهودية الاميركية اثر حملة التعذيب والاضطهاد التي شنها هتلر على يهود المانيا وبلدان اوروبا الشرقية ، مما حمل اولئك الساسة على ان يسلموا بمبدأ الوطنية اليهودية كحل اخير لتسوية اوضاع اليهود . .

ومن هنا نشأ شبه تحالف بين اولئك الساسة وبين الصهيونيين .

ولقد حلت سياسة استرضاء الاقليات الاميركية في الحملات الانتخابية ، مكان المناهج الاصلاحية التي تستهدف المصلحة العامة ، اذ راح قادة كل من الحزبين القويين في الولايات المتحدة يعمل على استمالة الاقليات : الجالية البولونية ، العبيد ، الطائفة الكاثوليكية واخيراً اليهود الذين يقطن ٧٥ بالمائة منهم في ١٤ مدينة من اكبر مدن اميركا ، كما ان ٤٢ بالمائة منهم يعيشون في مدينة نيويورك

وحدهـــا ..

ومع انه لم يكن هناك ما يضمن ان تتكتل هذه الاصوات الى جانب حزب او مرشح معين ، الا ان قادة الحزبين المتنافسين كانوا يحسبون لها الف حساب ، ويسعون الى كسب تأييدها في كل معركة انتخابية ..

ولقد كان للمكافآت المالية التي كان ينثرها زعماء الصهيونية ، اكبر اثر واشد دافع للساسة الاميركيين في مضاعفة جهودهم من اجل الوطنية اليهودية .

ففي عهد الرئيس ترومان ، كان بار كلي نائب الرئيس ، وغيره من المسؤولين في الحكومة ومن اعضاء الكونجرس ، يتسابقون على القاء الخطب والمحاضرات لتأييد الحركة الصهيونية ، لقاء اجور باهظة .. فان المستر بار كلي كان مثلاً يتقاضى ١٥٠٠ دولار عن كل خطبة يلقيها ..

وهكذا كانت الصهيونية ، عن طريق المال ، تشتري تأييد الساسة النافـــذين سواء في البيت الابيض او في دوائر واشنطن الرسمية . ! وبهذه الوسيلة استطاع زعماء الصهيونية وانصارها بما لديهم من مال ونفوذ ودهاء ان يمسكوا الحبل من طرفيه ، وينتهجوا سياسة مزدوجة لارشاء الحزبين القويين : الديمقراطي والجمهوري ، اللذين كانا يتنافسان على اكتساب عطف الزعماء اليهود في كل منـاسبة انتخـابية .

وقد حدث انه عندما ارادت لجنة الشؤون الخارجيـة لمجلس الشيوخ الاميركي درس قضية فلسطين والدول العربية ، ان كلف

بهذه المهمة الشيخ الديمقراطي غي جيليت احد انصار الصهيونية ورئيس الرابطة الاميركية لفلسطين الحرة . وكذلك كان الحال عندما ارادت لجنة الشؤون البرلمانية وضع تقرير بمائل ، فعهدت الى عضو الكونجرس جاكوب جافيت بهذه المهمة ، وجافيت هذا هو من اشد المدافعين عن الوطنية اليهودية . .

وفي عام ١٩٤٤ ، كانت بيانات الحزب الديمقراطي تتحدث بحماس وتأييد كلي عن انشاء « وطن يهودي حر ديمقراطي » . بينما اكتفى الحزب الجمهوري بالقول : انشاء « وطن ديمقراطي حر » وحذف كلمة يهودي ، ولكن ديوي المرشح الجمهوري ما لبث ان عاد يعلن تأييد حزبه « لاستعادة فلسطين كوطن قومي لليهود» .

وفي عام ١٩٤٨ ، وكانت اسرائيل قد نالت اعترافاً واقعياً آنذاك ، عقد الحزب الجمهوري مؤتمره الانتخابي في فيلادلفيا برئاسة الشيخ هنري كابوت لودج ، لمناقشة برنامج الحزب والاستماع الى آراء الاعضاء النافذين فيه ، وعندما شرع الحزب بدرس قضية اليهود واسرائيل ، سمح اولاً لممثلي المجلس الاميركي اليهودي المناوىء للصهيونية بالكلام ، فعارضوا الاساليب التي ينوي الحزب اتباعها لكسب اصوات اليهود ، ووصفوا هذه الاساليب بانها طريقة مفضوحة للمزايدة على اصوات اليهود .

كما ان نظارة الخارجية وجهت نصيحة الى الشيخ فاندنبرغ بان لا يضمن برنامج حزبه اموراً من شأنها ان تزيد نقمة العالم العربي ضد الولايات المتحدة .

ولذا ، فقد اكتفى قادة الحزب الجمهوري بتوجيه التمنيات

للدولة اليهودية الجديدة ، دون الاشارة الى تأييد مزاعم اليهود بتوسيع حدودهم او تسهيل انضمام دولتهم الجديدة الى هيئة الامم.

وكان من الطبيعي ان لا يقابل زعماء الصهيونية في اميركا ، هذه «التمنيات» بالترحيب ، فراحوا يثيرونها ضجة صاخبة على قادة الحزب ، ويبذلون الجهود لاقناع النافذين بالحزب لتعديل سياسته من اسرائيل.. وقد تم لهم ما ارادوا ، اذ لم ينقض اربع وعشرون ساعة على اذاعة البيان حتى نال اليهود وعداً قاطعاً من الحاكم ديوي بتأييد مطالبهم كاملة ..

ثم ان الحاخام ابا هلال سيلفر قصد الى احدى جلسات مؤتمر الحزب برفقة الشيخ تافت وصرح بقوة انه يعلن انسحابه من الحزب الجمهوري اذا لم يصدر الحزب بياناً جديداً يؤكد فيه مطالب اسرائيل ، وقد أيد كلام الحاخام سيلفر عدد من اعضاء الحزب البارزين ؛ وازاء هذا الضغط اضطر قادة الحزب ان يصدروا تصحيحاً في العبارة الواردة عن اسرائيل تتفق وميول اكثر الصهيونيين تطرفاً..

اما الحزب الديمقراطي ، فان السنوات الست عشرة التي مرت عليه وهو في الحكم ، كانت كافية لان تجعله يتقن الاساليب والوسائل التي تمكنه من استرضاء الاقليات في الولايات المتحدة واستمالتها الى جانبه لكسب اصواتها .

وتمشياً مع هذه السياسة ، اخذ الحزب ينادي ابان حملة انتخابات ١٩٤٨ ، بتأييد اسرائيل وامدادها بالمساعدات المالية ورفع قرار حظر الاسلحة عنها . وكان الحزب يبغي من هذه الدعاية الطنانة

ان يذكّر الناخب اليهودي بالخدمات الجلى التي قدمهـــا ترومان وحزبه الى الشعب اليهودي .

وبهذه الطريقة راح الحزبان يتنافسان على استجداء اصوات اليهود بكل الوسائل ...

وقـــد حدث انه عندما عرض الوسيط الكونت برنادوت مقترحاته على هيئة الامم لحل الخلاف الناشب بين اليهود والعرب، ان انتهز الحاكم ديوي موافقة ناظر الخارجية مارشال على هذه المقترحات ، وراح يذيـــع في الاوساط اليهودية ان الحزب الديمقراطي الحاكم قبل بمقترحات الوسيط الدولي ، التي ينص بعضها على ضم منطقة صحراء النقب الجنوبية الى العرب .

والجدير بالذكر ان جون فوستر دالز (ناظر الخارجية الحالي والمستشار السياسي الاول للحاكم ديوي الجمهوري في ذاك الوقت) كان عضواً في الوفد الاميركي لهيئة الامم ، فاطّلع على مقترحات برنادوت ، ثم نقل تفاصيلها بصورة سرية الى الحاكم ديوي موعزاً اليه ان يستغلها في الدعاية لمصلحة الحزب الانتخابية ؛ ولم يكتف دالز بما قام به من اذاعـــة المقترحات السرية ، بل أصدر بياناً مشتركاً مع الحاكم ديوي اعلن فيه عدم تقيّده بتلك المقترحات التي وافق عليها ناظر الخارجية الاميركية مارشال .

وفي مناسبة اخرى ، يوم ٢٢ تشرين الأول وقف ديوي يعلن صراحة انه يؤيد ضم النقب الى دولة اسرائيل ..

وعندما وصلت هذه الانباء المقلقة الى مسامع الرئيس ترومان، سارع بدوره الى التصريح بانه لم يطرأ أي تبديل أو تعـديل على

قرار التقسيم الذي أقرته هيئة الامم ، وانه لن يتخـــذ أي قرار جديد الا بعد موافقة اسرائيل .

والغريب ان جون فوستر دالز كان له رأي خاص بالحركة الصهيونيـــة ، وهو مستوحى من اشتراكه في المجلس الوطني للكنائس ؛ ولذا كان من المفروض فيه ألا يتأثر بنفوذ الصهيونية ، ولكن علاقاته الوثيقة بساسة نيويورك جعلته في غالب الأحيان يغيّر وجهة نظره . .

والمعروف ان للكنائس المسيحية الاميركية وجهـــة نظر خاصة ، وقد ابدتها بصراحة بالنسبة للقدس ، عندما طلبت جعلها مدينة دولية ، وقد تبنى دالز هذه النظرية في بادىء الامر الى ان أرغمته الظروف على تبديل وجهة نظره تبديلاً تاماً .

ففي عام ١٩٤٩ ، عندما رشح نفسه للمقعد الشاغر في مجلس الشيوخ عن مدينة نيويورك ، وكان منافسه الدكتور ليهمان ، اعلن دالز بكل جرأة اثناء مأدبة اقامها على شرفه حوالي مـائتي شخصية يهودية من نيويورك بانه يعارض وضع القـــدس تحت سيطرة الحكومة الاسرائيلية ، ويصرّ على تدويل المدينة المقدسة تنفيذاً لقرار هيئـــة الامم . وكان من جراء تصريحه الجريء هذا ، ان خسر المقعد في مجلس الشيوخ وفاز خصمه . .

والنتيجة . . هي ان دالز تلقى درساً قاسياً من هذه التجربة ، وتعلم ان لا يسترسل في ابداء آرائه بصراحة في المستقبل .

وعندما بدأت الحملة الانتخابية في عام ١٩٥٢ ، وخلال اجتماعات مؤتمر الحزب الجمهوري ، نصح ممثل المجلس الوطني الاميركي اليهودي

قادة الحزب بان لا يضمنوا برنامجهم الانتخابي وعوداً صريحة لاسرائيل ، ولكن عضو الكونجرس جافيت ، الذي كان يدافع عن وجهة نظر المجلس الصهيوني في الحزب ، اصّر على وجوب معاملة اسرائيل معاملة خاصة ؛ وكان له ما اراد ، اذ ابدى الحزب بما فيه دالز ، لهفة واندفاعاً لاكتساب اصوات اليهود ، فقد ورد في برنامجهم السياسي فقرة خاصة باسرائيل ومنحها المساعدات المالية السخية ، هذا نصها :

« ان الحزب الجمهوري قد ابدى منذ البدء تأييده التام لفكرة انشاء وطن قومي للشعب اليهودي ، لانقاذ الالوف من اليهود من التعذيب والاضطهاد اللذين تكبدوهما خلال سني الحرب . وان قيام دولة اسرائيل يتفق مع اعمق اهدافنا الانسانية ..

وسنثابر على اتمام تأييدنا ومهمتنا في تدعيم هذه الدولة، وكذلك سنستخدم نفوذنا لاقرار السلم بين اسرائيل والدول العربية ، وسنبذل ما في وسعنا لاحلال الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي في تلك المنطقة .. »

ومع ان جافيت ، ممثل الصهيونية بالحزب الجمهوري ، كانت لديه الجرأة الادبية الكافية لان يطالب بتسوية قضية اللاجئين العرب وضرورة تقديم المساعدات المالية لهم ، لمساعدتهم على الاستيطان في البلدان العربية المجاورة، فلم يكن لدى دالز اولدى احد قادة الحزب الجمهوري مثل هذه الجرأة ، اذ لم يجرؤ واحد منهم على ان يشير ، ولو بكلمة واحدة، سواء في خطبهم اوبياناتهم الانتخابية الى مئات الالوف من اللاجئين العرب التعساء المحتاجين

للمساعدة . . !

وبعد مضي اسبوعين على هذه الحوادث، اعلن الحزب الديمقرطي ترشيح الحاكم ادلاي ستيفنسون للرئاسة ، الذي افتتح حملتـــه الانتخابية كالعادة ، بمناقشة برنامـــج الحزب قبل وضعه واذاعته؛ وعندما عرضت قضية فلسطين والشرق الاوسط على بساط البحث، اكتفى زعماء الحزب بالاشارة الى سياسة الحزب من منطقة الشرق الاوسط بكاملهـــا ، كما تحدث ستيفنسون عن « شعوب الشرق الاوسط » دون تمييز بينها ، كما ان المساعدات المالية والفنية التي وعد بهـــا اسرائيل ، وعد بمثلها ايضاً الدول العربية واللاجئين الفلسطينيين . .

ومعنى هذا التبديل الفجائي . . هو ان ساسة الحزب الديمقراطي شعروا برد الفعل المعاكس في البلدان العربية ، من جراء اندفاع الحزب وراء تأييد الصهيونية تأييداً اعمى ، واغداق المساعدات المالية عليها في كل مناسبة .

ولقد كان للانقلاب الفجائي في سياسة الديمقراطيين ؛ من تأييد روزفلت وترومان العنيف للصهيونية ، الى نهج جديـــد يتزعمه المرشح الديمقراطي الجديد ستيفنسون ابلغ مغزى في حد ذاته . .

فقد وضح ان سياسة الحزب الديمقراطي الخاصة بالشرق الاوسط لم تملها دوائر البيت الابيض كالسابق ، وانما قامت نظارة الخارجية الاميركية برسمها ، مستوحية ذلك من مصلحة الولايات المتحدة العليا . .

ثم ان ستيفنسون كان عضواً في الوفد الاميركي لهيئة الامم المتحدة ، وشاهد بام عينه كيف كانت تتخذ القرارات كلما عرضت

فيه قضيـــة خاصة باسرائيل والدول العربية ، كما انه طالما سمع بيرنز يشكو ويتذمر من ان سلطـــة نظارة الخارجية فيما يتعلق بفلسطين تنحصر في نقـــل الرسائل والمشاريع من والى الرئيس الاميركي .. حتى ان مارشال لم يُستشر في موضوع قرار الرئيس ترومان القاضي بضم صحراء النقب الى اسرائيل؛ وقد كادت تحدث اصطدامات وخلافات في سياسة فلسطين ، بين ناظري الخارجية مارشال وبيرنز وبين الرئيس الاميركي وكبار موظفي البيت الابيض .

وهكذا وُضع بترشيح ادلاي ستيفنسون حد نهائي لخضوع سياسة الشرق الاوسط لاعتبارات محلية كان يفرضها في الانتخابات السابقة فريق مأجور من الحزب .

ومع ذلك ، فلو ان الفوز بالرئاسة كتب لستيفنسون ، فليس من شك في انـــه كان سيضطر للاستسلام تحت ضغط العوامل السياسية ، تلك العوامل التي حملت ترومان على ان يضحي بمصالح الأمة الاميركية في سبيل استرضاء دعاة الصهيونية النافذين .

وقد تجنب ستيفنسون خلال حملته الانتخـــابية التلويح باي وعد خاص من اجل كسب الاصوات اليهودية ، بل اعلن تحرره التام من ضغط الاقليات على اختلاف طوائفها .

وهذا الموقف الجريء وتلك الصراحة اللذين ابداهما ستيفنسون حيال قضية فلسطين كانا من عوامل فشله في معركته الانتخابية .

اما الحزب الجمهوري ، فقد اعتمد على وسائل الدعاية القديمة التي كان يتمشى عليها روزفلت وترومان من قبله ، وكانت جميع

خطبه الانتخابية تتضمن وعوداً صريحة لتأييد اسرائيل ، كما ان الجنرال ايزنهاور اعلن باسمه واسم جميع الشيوخ واعضاء الكونجرس والحكام الجمهوريين ، مساندة الحزب لقضية اسرائيل ..

ولقد حرص ايزنهاور في حملته الانتخابية على اكتساب اصوات اليهود .. فأنشأ لهذه الغاية مكتباً خاصاً لليهود في مقر قيادته بفندق كومودور في نيويورك واتبعه مباشرة باللجنة الوطنية للحزب الجمهوري

ومثل هذه الحملات ، كانت في الماضي تقيّد الحزب الحاكم ببعض التعهدات الواجب تحقيقها .. فهل يحقق الرئيس ايزنهاور الآن التعهدات والوعود التي قطعها على نفسه باسمه واسم حزبه ..؟

ان الوقت لم يحن بعد ، لنعرف ما اذا كان الحزب الجمهوري الحاكم سيتبع نفس التقاليد التي سار عليها البيت الابيض منذ سنين في محالفته للصهيونية ؟!

ان الاوضاع قد تبدلت الآن على مرّ الزمن ، وازداد ساسة الولايات المتحدة تفهماً للاوضاع القائمة في الشرق الاوسط ، وعلاقتها الوثيقة بمصالحهم في تلك الربوع .

ولهذا فقد احدثت رحلة ناظر الخارجية الاميركية فوستر دالز الى العالم العربي ذعراً كبيراً في الدوائر الصهيونية ، اذ لم تكن تتوقع ان تعمل تقارير دالز عن حقيقة الاوضاع في البلدان العربية واسباب شكواها ، اثرها الفعّال في دوائر البيت الابيض وواشنطن معاً .

ان الرئيس ايزنهاور يمكنه — اذا اراد — ان يضع حداً

« لبلفة » اليهود الوطنيين ، وينتهي من مهزلة التنافس لكسب اصوات اليهود ، ولا سيما وانه لم يكن مديناً بفوزه الساحق الى هذه الاصوات .

ففي عام ١٩٤٨ ، بلغ عـــدد المقترعين في الولايات الخمس الكبرى حوالي ٢٠ مليوناً ، ويدعي الصهيونيون ان معظم قوتهم الانتخابية متجمعة في هذه الولايات نفسها ، ومع ذلك كان الفرق بين الحزب الديمقراطي الفائز ، وبين الحزب الجمهوري الفاشل ١٥٠ الف صوت فقط .. وهذه النسبة لا تتعدى الواحد بالمائة من عدد المقترعين .

فمن الواضح اذن .. انه اذا كانت اصوات اليهود متجمعة هناك حقاً ، فمن الطبيعي ان يقترع اصحابها للحزب الذي ادى خدمات جلّى الى اليهودية الوطنية ، اي الحزب الديمقراطي .. ولكن النتائج المعززة بالارقام ، تركت مجالاً للشك والتساؤل .. اذ خسر الحزب الديمقراطي القسم الاكبر من الاصوات الانتخابيـــة في بنسلفانيا ونيويورك (والمعروف عن نيويورك انها تضم وحدهـا ٤٢ بالمائة من اصوات اليهود) حتى ان الحاخام سيلفر لم يتمكن من تأمين الفوز للمرشح الديمقراطي الذي رشحه عن ولاية اوهايو.

بالاختصار ، ان احصاءات الانتخابات قد بددت خرافة تأثير اصوات اليهود على نتيجة المعارك الانتخابية ، ولا سيما في معركة انتخابات ١٩٤٨ عندما كانت الصهيونية في احرج مواقفها ، وكانت بحاجة ماسة لان تؤثر على ساسة الولايات المتحدة ، لتضمن مساعدة دولة كبرى كأميركا .

واستناداً الى احصاء اجرته جامعة كولومبيا لمجلة « لايف » عام ١٩٥٢ تبين ان ٣٧بالمائة من الكاثوليك و ٣٦ بالمائة من اليهود و ٢٣ بالمائة من البروتستانت يؤيدون الحزب الديمقراطي ، وان ٦ بالمائة من المقترعين اليهود ينتمون الى الحزب الديمقراطي ، وكذلك ينتمي اليه ٢٢ بالمائة من الكاثوليك و ٢٥ بالمائة من البروتستانت .

والامر الثابت الذي نستخلصه من هذا الاحصاء هو ان ٥٨ بالمائة من يهود اميركا لا يؤيدون اي حزب من الحزبين القويين ؛ وبالتالي لا يستطيع اي الحزبين ان يّدعي السيطرة الدائمة على اصوات يهود اميركا .

والحقيقة ان جميع الاحصاءات الماضية التي جرت حول هذا الموضوع اظهرت ان العوامل الاساسية التي تؤثر على طوائف الاقليات ، لا تختلف كثيراً عن الاعتبارات التي يتأثر بها باقي الهيئات .

فلو فرضنا الآن وجود قوة انتخابية لها وزنها ، فانها تتأثر دائماً بالعوامل الاقتصادية اكثر من تأثرها بالاعتبارات الدينية او الطائفية . مثال على ذلك ، ان المرشح الديمقراطي ستيفنسون حصل في منطقة « ايست سايد » النيويوركية على غالبية اصوات الطبقة العاملة ، بينما لم يحصل ايزنهاور في المنطقة اليهودية من « وست ازد » ومنهاتن بنيويورك الا على حوالي ٤٥ بالمائة من مجموع الاصوات . مع العلم ان يهود هذه المنطقة كانوا مندفعين في تأييدهم له .

ثم ان عدداً كبيراً من المقترعين كان يؤيد مرشحاً معيناً لكونه

صالحاً لجميع الشعب ضارباً بجميع الاعتبارات الدينية والحزبية عرض الحائط .

وهذا هو الدليل ..

ففي عام ١٩٤٥ ، اقترعت غالبية يهود نيويورك مع المرشح الديمقراطي الكاثوليكي وليم اورويو ضد منافسه المرشح الجمهوري اليهودي جونات غولدشتاين ..

وكان المفروض ان يؤيد اليهود مرشحهم اليهودي .

ومما تقدم ، يثبت انه لا يمكن التأكيد بصفة قاطعة ان اصوات اليهود يمكنها ان تنصب كتلة واحدة في صف مرشح معين .

وقد حدث في عام ١٩٤٨ ، ان الحاخام سيلفر كان يؤيد المرشح ديوي للرئاسة ضد منافسه ترومان .. ومع ذلك فقد نال ترومان ٢٣ الف صوت زيادة على الاصوات التي نالها ديوي في اوهايو بلدة سيلفر نفسه . كما ان ستيفنسون نال في المنطقة ذاتها في انتخابات ١٩٥٢ ، ٥٢٠٠ صوت زيادة على الاصوات التي نالها ايزنهاور في المنطقة نفسها ؛ مع ان الحاخام سيلفر كان يساند ايضاً المرشح الجمهوري ايزنهاور . وهذا يثبت ان اصوات اليهود في تلك المنطقة تتأثر باعتبارات وعوامل خارجة عن نطاق الدين او الصهيونية .

وفي عام ١٩٥٢ ، وإبان الحملة الانتخابية ، ارتفع صوت الحاخام جوزف لوكشتاين في اثناء تلاوة موعظة يوم السبت الدينية في الكنيس ، ينتقد تصرفات زميله الحاخام سيلفر لانغماسه في المشاكل السياسية ، واصفاً هذه التصرفات بانها « خطيئة كبرى » يرتكبها

رجل دين يهودي ، ثم طلب له المغفرة والعودة الى ممارسة واجباته الدينية ، الى ان قال :

« عندما ينغمس رجل الدين في معترك السياسة والحملات الانتخابية ، يخرج عن كونه رجل دين محترم، فيفيد المرشح الذي يؤيده قليلاً ، ولكنه يلحق الضرر الجسيم بالدين الذي يخدمه . . »

* * *

obeikandl.com

الفصل السابع

دماء ومخاوف

*

« ..باعتقادي ان كل طائفة او مجموعة من البشر تسير في طريق الاضمحلال ، عندما يبدأ كل فرد فيها ينظر الى جاره نظرة عداء مستحكم ، وينقسم ابناؤها على بعضهم البعض حول المسائل الدينية والسياسية ، وتحل الوشايات والاتهامات المغرضة محل الحقائق ، عندها لا يعود بامكان المرء ان يجاهر بالايمان الصحيح منزهاً عن الشوائب .. »

هذا ما قاله المستر هاند رئيس القضاة السابق لمحكمة الاستئناف الاتحادية ، وما اكثر ماتنطبق هذه الكلمات على وضع يهود اميركا.

ففي نهاية الحرب العالمية الثانية ، وعندما برزت فكرة تقسيم فلسطين في الاوساط اليهودية كأمر واقعي ، كان من العسير على اليهودي ان يناقش الموضوع بحرية .

ثم عندما قامت دولة اسرائيل ، صار من الواجب عليه ان لا يتعرض بالنقد لسياسة الدولة الجديدة ، او للمؤسسات والمنظمات الاميركية التي تقدم المساعدة لها. وكان اذا ما وجه احد المسيحيين

الاميركيين انتقاداً الى هذه الدولة الجديدة او الى سياستها، قامت قيامة الصهيونيين الاميركيين عليه واتهموه بانه من اعداء السامية. واذا ما قامت معارضة يهودية تحاول الوقوف في وجه تيار اليهودية، فما اسرع ما يخمد في مهدها، بعد ان يخشى اصحابها ان تلصق بهم تهمة « خيانة اليهودية ».

وهكذا وضعت سياسة اميركا الخاصة بالشرق الاوسط بين بقع الدماء والمخاوف..

ثم ان الصهيونية تمكنت من السيطرة والتفوق على اليهودية الاميركية، بسبب جد بسيط، هو استغلالها لمبادىء « الانسانية » لتدعم بها سياستها الوطنية المتطرفة..

وانت قد تجد عشرات الألوف من يهود اميركا الذين يكرهون ذاك النوع من الوطنية المتطرفة، ولكنك لا تجد اليهودي الاميركي الذي يرضى ان يقال عنه انه ضد «المبادىء الانسانية» وهذا بالذات ما فعلته الصهيونية، فقد اخذت تستغل هذه المبادىء الانسانية لتثير الشفقة على « ضحايا التاريخ.. المشردين »، وقد وجدت الصهيونية عوناً كبيراً ومساعدات قيمة من الصحافة الاميركية السهلة الانقياد لتدعيم دعوتها..

والحق يقال ان نفوذ الصهيونية وسيطرتها على الصحافة الاميركية كانا قويين جداً، فقد ابرزت المجلات والصحف، حتى الروايات والقصص، وجهة نظر الصهيونية، قبل التقسيم وبعده، بشكل جذاب، واسبغت عليها لباس العدل والحق والانسانية.

وقد بُذلت بعض الجهود من اجل تحرير الصحافة الاميركية

من سيطرة الصهيونية ، ولكنها كانت ضئيلة تافهة ، فسرعان ما تلاشت امام تيار الصهيونية الطاغي .. وهكذا اندفعت الصحافة الاميركية في تأييدها الاعمى للصهيونيين ، متجاهلة حقوق العرب ومطالبهم. حتى ان عدداً كبيراً من الهيئات المسيحية راح يطالب بحماس ، بدافع ديني وانساني ، بالتعويض عن مشردي اوروبا اليهود الذين تحملوا الاضطهاد والتعذيب على ايدي فريق من الاوروبيين المسيحيين. ولا يخفى ان الصهيونية هي التي كانت تثير موضوع اولئك المشردين من اجل الدعاوة لقضيتها .

واذا ما حدث ان احدى الصحف الاميركية ارادت نشر ما تراه حقاً وعدلاً عن قضية فلسطين انهالت عليها التهديدات من كل مكان بحرمانها من الاعلانات اليهودية ، يضاف الى ذلك التهديد بادراج اسم كاتب المقال في اللائحة المشؤومة واعتباره من اعداء السامية .

ومن الطبيعي ان تكون هذه العوامل كافية لمنع اية صحيفة من ان تهاجم الصهيونية او تنتقد اهدافها .

ولذا ، فلم تفسح الا صحف اميركية معدودة المجال امام فريق من الشخصيات البارزة من اعداء الصهيونية ، امثال قادة المجلس الاميركي لليهودية والجمعية المسيحية التي ترئسها دين فرجيفيا كيلدر سليف ، وبيارد دودج (الرئيس السابق للجامعة الاميركية في بيروت) .

وكانت سيطرة الصهيونية على صحف نيويورك اوسع منها في اي مكان آخر من الولايات المتحدة ، حتى لو ان احدى الصحف

النيويوركية نشرت خبراً في غير مصلحة الصهيونيـــة ، ولو كان انتقاداً عارضاً وجهه احد القراء ، لقامت قيامة زعماء الصهيونيـــة ولأنزلوا السماء على رؤوس اصحاب الجريـدة ، وشددوا الضغط عليهم عن طريق شركات الاعلان ، ومختلف المصالح والمؤسسات ذات النفوذ ، ناهيك عن آلاف الرسائل وبرقيات الاحتجاج.

ومع ان المفروض ان لا يتأثر رئيس تحرير الصحيفة بالانتقادات التي توجه الى سياسة صحيفته ، إلا أنه في هـــذا الموقف بالذات يضعف امام حملات الانتقاد العنيفة ، وامام التهمة البشعـــة التي يهددونه بالصاقها به وهي «عدو السامية» .

ومع ذلك ، فقد شذت بعض الصحف عن القاعـــدة : ففي مكتب صحيفة « نيويورك تايمس » علقت لوحة كتبت عليهـــا العبارة التالية :

« ننقل اليكم الاخبار دون تحيز او خوف ، بعيدين عن سيطرة ونفوذ اي حزب او طائفة او مصلحة خاصة.. »

وبالفعل ، فقد حافظت «النيويورك تايمس» على مبدأها ، على الرغم من تعرضها لضغط الصهيونية واغرائها.

ففي تشرين الثاني ١٩٤٦ وقف رئيس تحريرهـا ارثر سولتز برغر يقول :

« انني اكره اساليب العنف التي يلجأ اليها الصهيونيون، فهم، في هذه البلاد ، لم يترددوا لحظة واحدة عن استخدام شتى الوسائل الاقتصادية لاخماد صوت الذين يعارضونهم في الرأي ، ولهذا ، فانا احتج على هذه المحاولات التي يُقصد منها خنق اصوات المعارضين

لاهداف الصهيونية ».

وهذه العبارة.. انما هي صادرة عن رجل امـــير كي يهودي المعتقد ، ورئيس تحرير اوسع صحف نيويورك نفوذاً وانتشاراً..

ثم ان هذه الصحيفة نفسها وقفت من مشروع تقسيم فلسطين اثناء عرضه على هيئة الامم ، موقف المعارض ، على الرغم من الحملات الشديدة التي استهدفت لهـــا من دعاة الصهيونية وانصارها ، وعلى الرغم من التهديد بمقاطعتها اذا استمرت بسياستها..

ومع ذلك فقد استمرت النيويورك تايمس في سياستها ، وما كان من الصهيونيين الا ان اعلنوا مقاطعتها ...

اما نتيجة هذه المقاطعة ، فقد ظلت سراً ، لم يطلـــع عليه سوى النـــاشر ارثر سولتزبرغر ؛ ولكن الذي يمكن قوله عن هذه المقاطعة ، انها كانت تجربـــة قاسية افزعت المسؤولين عن الصحيفة .

ومع ان الصحيفة ظلت طيلة مـــدة المقاطعة تنشر الاخبار بطريقة حيادية ، الا انهـــا في النهاية اضطرت لأن تحافظ على ان تكون اخبارها بالنسبة لدولة اسرائيل ايجابية . (هـــذا مع العلم ان سولتزبرغر ليس صهيونياً ، وليس عدواً للصهيونية) .

وقد انتهزت صحيفة « نيويورك هيرالد تريبيون » الجمهورية ، ومنافسة الصحيفة الديمقراطية ، فرصة الوضع الحرج الذي وجدت فيه النيويورك تايمس ، فراحت تعلن تأييدها للصهيونية وقرار التقسيم في ابرز صفحاتها ، لكي تكسب قراء « النيويورك تايمس » اليهود البالغ عددهم حوالى المليوني قارىء ، وقد ذهبت في تأييدها

للتقسيم الى ابعد الحدود ، حتى انها تخلت ،ولاول مرة، عن تقاليدها المعروفة في تأييد السياسة البريطانية ، لتحل محلها مناصرتهـــا التامة للصهيونية ومعارضتهـــا لسياسة بريطانيا الاستعمارية في فلسطين .

وعندما وقف الدكتور هاري جيـد رئيس كلية بروكلين يحذر المسؤولين الاميركيين من حصر اهتمامهم بقضايا اسرائيل فقط ، دون الالتفات الى مصالح اميركا العليا في الشرق الاوسط ، بقوله : « ان هذه السياسة ستؤدي حتماً الى ازدياد نقمة بلدان الشرق الاوسط على الولايات المتحدة .. » شنت عليه صحافة نيويورك حملة عنيفـــة ، ووصفته صحيفة « نيويورك بوست » بانه « يعمل على تشجيـــع العرب للاعتداء على اسرائيل ... » ثم رفضت الصحيفة نفسها ان تنشر رده على حملة الصهيونية المغرضة عليه ..

اما صحيفة « نيويورك جويش » (اي اليهودية) فاتهمت الدكتور جيد باتهامات خطيرة ، وذكرت ان له علاقة بالهيئات المناصرة للعرب في نظارة الخارجية الاميركية ، ثم دعت طلاب كلية بروكلين بان لا يسمحوا لرئيسهم بالاسترسال في صراحته الوقحة .

وكما كان الحال في نيويورك ... كان في سائر انحـــاء البلاد الاميركية ..

ففي شهر تشرين الاول ١٩٤٧ ،اجرت مؤسسة دنفر العلمية استفتاء عن قضية فلسطين بين ممثلي عدد كبير من مديري الصحف الاسبوعية واليومية ، فاسفرت النتيجة عن ٥٠ بالمائة عارضوا تقسيم فلسطين ، وطالبوا بقيام دولة موحدة ،و ٣٠ بالمائة ايدوا التقسيم الذي اوصت به

اللجنة التابعة لهيئة الامم ، وعشرة بالمائة ايدوا قيام دولة فدرالية في فلسطين . والغريب ان جميع هذه الآراء الشخصية لم تنشر ابداً في صحفهم ، وانما نشرت الاخبار التي هي في مصلحة الصهيونية .

* * *

. ومنذ صيف عام ١٩٤٨ ، بعد قيام دولة اسرائيل ،تعرض مليون لاجىء عربي للجوع والحرمان والمرض، ولتسرب المبادىء الشيوعية الى نفوسهم .

فما كان موقف الصحافة الاميركية من هؤلاء المشردين ..؟

ان الصحافة الاميركية لم تعبأ بهم ، ولم تهتم بمعالجة مشكلتهم . لانهم لاجئون عرب، وهي ان تعرضت لهم، فبصفة عاجلة عابرة...

وهذا الاهمال الظاهر، يدعو الى الاعتقاد بان القراء الاميركيين لا يهمهم الاطلاع على مشاكل ذلك الشعب البعيد عنهم .

ولكن الحقيقة هي عكس ذلك ..

واذا كان رؤساء تحرير الصحف الاميركية يتجنبون معالجة مثل تلك المشاكل الانسانية فانما لخشيتهم ان يتعرضوا لاتهامات الصهيونية لهم ، بانهم اعـــداء السامية والمبادىء الانسانية ..

وقد حدث ، انّ في كل مرة كانت احدى الصحف الاميركية تشير الى اللاجئين العرب ، كانت الصهيونية تصفها بانها من اعوان مفتي فلسطين الاكبر ، وانها من انصار النازية .. او ان اصحابها من قطاع الطرق..

وهكذا سخرت الصحافة ومن ورائها اقلام الكتاب واموال الناشرين ، لخدمة الصهيونية وتأييد اسرائيل الى ابعد حد. ومـــن

الكتب والمؤلفات التي ظهرت في تأييد اسرائيل ، كتب ألفها : جايمس ماكدونالد ، بارتلي كروم ، ريتشارد كروسمن ، وليم زيف ، صمنر والز ، روبرت ناثان ، روبرت كابا ، بيار فان باسن ، والتر لورد مليك ، هربرت ايفان .

وجميع مؤلفات هؤلاء الكتاب قد قوبلت بالترحيب والحماس من قبل الصحافة الاميركية ، حتى كتاب كارلسون « من القاهرة الى دمشق » .

ولكن الى جانب هذه المؤلفات ، صدرت بعض الكتب التي وصفت بالاعتدال ، وبأنها ليست « صهيونية » قلباً وقالباً ومنها كتاب السيدة ويلي زوجة مارك اثريدج ناشر مجلة « كوريه جورنال » . وقد كتبته عندما رافقت زوجها الى منصبه الجديد في الارض المقدسة كعضو في لجنة الوساطة الاميركية .

والكتاب هو بعنوان « في اثناء سفري الى القدس » ، وقد اشارت فيه الكاتبة ، بالاضافة الى المتاعب التي يلاقيها اليهودي في قلب اسرائيل ، الى البؤس الذي يخيم على اللاجئين العرب .

ولهذا السبب وحده ، هاجم ناشر « واشنطن بوست » المؤلفة بعنف في مقال بارز ، ووصفها بانها « شوهت الحقائق ..! » ، كما هاجمتها صحيفة « نيويورك هيرالد تريبون » لمبالغتها في تقدير اهمية الارض المتنازع عليها والتي كان يعيش فيها حوالي ٩٠٠ الف عربي اجبروا على ترك بساتينهم ومزارعهم الجميلة ..

وذات مرة دعيت مؤلفة الكتاب لالقاء محاضرة في جمعية اساتذة ماريلند في بلتيمور ، فاختارت ، قبل موعد المحاضرة باسبوعين ،

موضوعها من كتابها « في اثناء سفري الى القدس » . وقبل اربعة ايام من موعد المحاضرة ، نصحها سكرتير الجمعية بان تختار لهـــا موضوعاً آخر غير ذلـــك الموضوع بالذات .. ولما اصرت على موضوعها ، اجابها بانه مضطر ، تحت تأثيرات عديدة ، لان يسألها العدول عنه حتى لا يفقد مركزه ، وحيال هذا الموقف ، اضطرت السيدة اثريدج ان تغير موضوع محاضرتها .

على الرغم من كل هذه الحملات العنيفة المنظمة التي كانت تشنها الصهيونية على المؤلفين الاميركيين الذين يعالجون مشاكل فلسطين بعين الرجل المنصف ، فقد وجد فريق من اصحاب الضمائر الحية ، والكتاب المعتدلين الذين ابوا الا ان تكون اقوالهم منسجمة مع مبادئهم الانسانية ، فراحوا يبدون عطفهم على اللاجئين العرب .. وبالطبع فان حظهم لم يكن باوفر من حظ السيدة اثريدج ، فقد شنت عليهم الصحافة الاميركية المأجورة للصهيونية حملات شديدة. وفي مقدمة هؤلاء الاشخاص ، البروفسور ميلر باروز من معهد ييل للاهوت ، وهو من ابرز علماء التوراة والاثار ، وقد ثارت عليه الهيئات الصهيونية والصحافة المأجورة لها عندما نشر كتاب « فلسطين قضيتنا » ووصفته بانه خائن لليهود . حتى مجلة « ارض ولدت ثانية » التي تصدرها اللجنة الاميركية المسيحية ، وجهت له انتقادات مرة ، ووصفت كتابه بانه مفكك الاجزاء وبعيد عن الحقائق ومحشو بالمغالطات والتحامل ؛ واضافت المجلة تقول: « كان على الناشر ان يرفض نشر مثل هذا الكتاب الذي يعتبر من سقط المتاع ، والذي يدعي مؤلفه زوراً بانه من معلمي التوراة .. »

وهذه المجلة نفسها كانت قد وصفت كتاب السيدة اثريدج من قبل « بانه كتاب ممل ومتعب ...! »

وهكذا وضع اسم البروفسور باورز في قائمة الاشخاص الذين يعتبرون من اعداء السامية ، ومن المارقين عن اليهودية ...

وكان كل انسان يتجرأ على رفع صوته معارضاً السياسة الاميركية الخاطئة في تأييدها للصهيونية ، كان يتهم في المجلة نفسها بانه من الكتلة المؤيدة للعرب في اميركا والمنتشرة في عدة اوساط علمية ودينية ، وبالتالي يعتبر من « اعداء السامية » . فالسيدة دورثي تومبسون وفنسان شيبان والبروفسور وليم هوكنغ ، ورؤساء الجامعات الاميركية في الشرق الاوسط واصحاب مجلات ريدرز دايجست والتايم واتلنتيك مانثلي وستيورات اولسوب ، كانوا جميعهم مع جيرالد شميث ومروين هارت من « اعداء السامية » في نظر الصهيونية ومجلة « ارض ولدت ثانية » .

وقد كتب البروفسور باورز ذات يوم رسالة يحتج فيها على حملة المجلس الصهيوني المغرضة عليه ، ويذكّر المجلس بانه كان في طليعة مؤسسي الجمعية الوطنية لمكافحة اعداء السامية ، كما انه بذل جهوداً ملموسة في الحركة الدينية ضمن الوطن الجديد ..

وقد رد مدير المجلس المذكور الحاخام جيروم اونجر على رسالة البروفسور رداً غامضاً ، على الرغم من اعترافه الضمني بان البروفسور ليس من اعداء السامية ..

وفي نهاية عام ١٩٤٩ ، قامت حملة باسم لجنة الطوارىء للارض المقدسة (H. E. L. P) ، غايتها توجيه انظار الاميركيين الى حالة

اللاجئين العرب لمساعدتهم والتخفيف من حدة الشقاء الذي يعانون.

وكان يرئس هذه المنظمة الرئيس السابق لاتحاد مدارس اللاهوت الدكتور هنري سلوين كوفن، كما ضم مجلسها حوالي ثلاثين شخصية من رجال الدين والقضاء ورؤساء الكليات والدبلوماسيين والكتاب والمحسنين. وفي بيانها الاول الذي اذاعته يوم ١٢ ايلول عام ١٩٤٩ دعت لايجاد حل سريع لمشكلة اللاجئين العرب، ولئلا تؤول غاية المنظمة الى اهداف سياسية معينة، او ضد اسرائيل. فقد اذاع القائمون على المنظمة ما يلي:

« لا يهمنا.. كيف او لماذا نشأت قضية اللاجئين العرب، وكل ما يهمنا ان هناك مئات الالوف منهم، وواجب منظمتنا ينحصر في توجيه انظار الرأي العام الاميركي الى حالتهم التعسة..»

وقد قابلت الصحافة الاميركية الحرة هذا العمل الانساني بشيء كثير من الفتور، ولم تخصص للدعاية له سوى مساحة صغيرة. اما الصحف الصهيونية فقد هاجمت المسؤولين على المنظمة بعنف وشدة.

وعندما انضمت دورتي تومبسون الى اللجنة العاملة في المنظمة، راحت صحيفة «جويش اكزامينر» تصرخ معلنة ان السيدة تومبسون تتزعم كتلة انصار العرب، متناسية جهود دورتي تومبسون في قيادة الحركة ضد النازية، ومعتبرة شعورها الانساني لالآم الانسانية وقاحة منها، لان المتألمين هم من العرب..

وطيلة مدة حياة منظمة (HELP) القصيرة، ظلت متمسكة بحيادها وابتعادها عن المشاكل السياسية، دون ان توجه كلمة لوم

او انتقاد الى اسرائيل لكونها تسببت في خلق مشكلة اللاجئين العرب.

ومع ذلك ، فقد كانت المنظمة منذ الساعة الاولى التي ظهرت فيها الى الوجود ، مغرزاً في عين الصهيونية. فقد تلقى عدد كبير من الرجال والنساء الاميركيين ، نصائح بعدم الانضمام الى هذه المنظمة ، كما طلب الى المنضمين اليها الانسحاب منها .

مثال على ذلك ان حاكم ماستشوساتس، كريستيان هرتر كان قد وافق على ان يكون نائب رئيس للمنظمة، ولكن ما ان انقضت ثلاثة اسابيع على اذاعة بيان المنظمة ، حتى ارسل كتاباً يعلن فيه استقالته من هذا المنصب ذاكراً في كتاب استقالته ما نصه : « ان مركزي في المنظمة قد حمل البعض على الاعتقاد انني اخترت الطريق ضد اسرائيل.»

اما السبب الحقيقي للاستقالة ، فقد ذكره الحاكم لبعض اصدقائه في حديث خاص ، اذ قال ان عناصر قوية اضطرته الى تقديم استقالته بعد ان شعر ان حياته السياسية معلقة على هذه الاستقالة ؛ يضاف الى ذلك ان وفداً من ابناء منطقته الانتخابية قصد واشنطن برئاسة احد الحاخامين وألحّ عليه بالاستقالة. كما انه تلقى مئات الرسائل بهذا المعنى ، ومنها رسالة من قدماء المحاربين اليهود ، يتهمونه فيها صراحة بانه باع نفسه للعرب ..!

وكانت آخر هذه المناورات ، ان مدير وكالة « جويش تلغرافيك اجنسي » جاء يزعم للحاكم هرتر ، ان الاذاعات العربية راحت تتباهى بان منظمة « هالب » سوف تطرح الاسرائيليين في البحر !. .

كما ان هرتز تأثر كثيراً للدعاية التي نشرتها الصهيونية ، والقائلة ان مهمة المنظمة الجديدة هي التأثير على الكونغرس الاميركي لكي يفي بوعوده المقطوعة للعرب ..

والواضح ان الغاية التي كان قادة الصهيونيين يسعون اليها من وراء كل ذلك ، هي هدم كيان المنظمة الجديدة وعرقلة اعمالها الانسانية الرامية لاغاثة اللاجئين العرب البؤساء ..

وفي كتاب « خالقو القلاقل » الذي اصدرته احدى المنظمات الصهيونية ، زعمت في احدى فصوله ان اجتماعاً سرياً تمّ بين عزام باشا ، الامين العام السابق لجامعة الدول العربية ، وبين عدد من اعضاء منظمة « هالب » ، وكانت الغاية منه الاتفاق على محاربة الدعاية اليهودية الواسعة في اميركا ..

والحقيقة ان مثل هذا الاجتماع لم يحدث ابداً . وحيال هذه المساعي الصهيونية ، لم تتمكن المنظمة من الاستمرار في اعمالها سوى ثلاثة اشهر ..

وقد اصدرت رابطة مكافحة اعداء السامية نشرة سجلت فيها قائمة باسماء الشخصيات الاميركية التي دافعت عن قضايا العرب ، وعارضت الصهيونية ، وكان في مقدمة هؤلاء : فرجينيا كيلدر سليف ، وكرميت روزفلت ، وبيارد ضودج ، وماكس ثورنبورغ . ولم ينجُ واحد من هؤلاء من نقمة الشعب اليهودي بمجموعه .. كما لم تكن جمعية « السلام والعدل للارض المقدسة » والتي ينتمي اليها عدد كبير من معارضي التقسيم باوفر حظاً من منظمة « هالب » اذ تعرضت لحملات عنيفة ، والصقت باعضائها

التهمة التقليدية « اعداء السامية » .

اما لماذا وضع اسم فرجينيا كيلدرسليف في قائمة اعداء السامية . . فلأنها تجرأت وقـــالت : « ان يهود فلسطين قادرون على القيام باعمال شريرة . . »

وعندما اثيرت الانتقادات حول هذا القول ، انتصر للكاتبة كل من سولتز برغر وانشتاين والدكتور ماغنز ، أمـا الكاتبة نفسها فقد اصرّت على قولها . . بعـــد ان تأثرت كثيراً باعمال الاسرائيليين الوحشية التي فضحها جورج انطونيوس في كتابـه « يقظة العرب » الذي يعرض القضية العربية عرضاً تاريخياً منصفاً .

اما سبب توجيه تهمة عـدو السامية الى كرميت روزفلت ، فلأن المكتب العربي في واشنطن اقترح اسمه كشخص منصف في تعريف القضية العربية الى الرأي العام الاميركي .

وقد أخذ على بيارد ضودج تصريحه الذي أدلى به عندما كان رئيساً للجامعة الاميركية في بيروت ، والذي قال فيه بانه : « ليس عدواً لليهودية ، ولكن على الاميركيين ان يدرسوا بعنايـــة ، النتائج التي ستسفر عن مساعدة اميركا للصهيونيين المتطرفين . . »

وهكذا ظلت رابطة مكافحة اعـــداء السامية تنشر اتهاماتها التقليـــدية على كل صحيفة تتجرأ بالاشارة فقط الى القول بان المسؤولين في البيت الابيض قد ساندوا اسرائيل طمعاً في كسب اصوات يهود اميركا . .

وقد تعرضت لهذه الحملات صحف عديدة في الولايات المتحدة في طليعتها « ريتشموند تايمس » و « سان لويس بوست ديسباتش »

و« ايفننغ ريكورد » و«دايلي ستار» ، وقد اثارت هذه الاخيرة مسألة اخلاص اليهود لدولتين في وقت واحد (اسرائيل واميركا). امّا صحيفة « ساتردي ايفننغ » فقد وجهت الصهيونية اليها اعنف الحملات واقساها ، لانها نشرت في احدى افتتاحياتها مقالاً قالت فيه : « لنفرض ان هيئة الامم المتحدة قررت اقامة دول مستقلة للزنوج في صميم الولايات المتحدة ، فماذا يكون موقف اميركا ..؟

وكذلك تعرض الدكتور بيتر مارشال قسيس مجلس الشيوخ الاميركي لحملة عنيفة من الصهيونيين وصحافتهم المأجورة ، لانه القى موعظة في « كنيسة الرؤساء» اشار فيها الى سياسة اميركا الغامضة وقال: « ان بريطانيا قد غادرت فلسطين من الباب ، بينما دخلناها نحن من النافذة .. اعني رئيس جمهوريتنا .. الذي وضعنـــا في موقف حرج باعترافه السريع بدولة اسرائيل .. انه سيكلفنا بذلك خسائر جسيمة .. وسوف تتحققون مما اقول قريباً .. »

***

.. ومهما كانت معاملة الصهيونيين لمعارضي الدولة اليهودية في فلسطين .. فانها لا تقاس ابداً بما لاقاه اليهود غير الصهيونيين ..

لقد كان الحاخام لويس فنكلشتاين ، رئيس مدرسة اللاهوت اليهودية ، غير صهيوني ، ولذلك منع طلاب مدرسته من انشاد النشيد اليهودي الوطني في حفلة نهاية السنة عام ١٩٤٥ ، فكان ان اثيرت عليه نقمة الرأي العام الصهيوني والمنظمات اليهودية في الولايات وانتهوا الى اعتباره مارقاً عن اليهودية مع ثلاثة من الحاخامين اليهود كانوا قد رفضوا تأييد قيام دولة يهودية في فلسطين ، في

مؤتمر بلتيمور .

وهكذا وصف هؤلاء الحاخامين الاربعة بانهم خائنون لقضية اسرائيل ، وبانهم من مشجعي اعمال التخريب ، وانهم اختاروا وطناً لهم خارج حظيرة اسرائيل

وعندماتألف المجلس الاميركي لليهودية،لتمثيل اليهود المعارضين لقيام وطن يهودي ، اجتمع المؤتمر المركزي للحاخامين سريعاً واتخذ قراراً باكثرية ١٣٧ صوتاً ضد ٤٥ صوتاً يقضي بالغاء هذا المجلس الجديد ..

وعلى هذا الحال ، استمر صراع الصهيونية ، وضغطها على اليهود الذين أيدوا وجهة نظر المجلس الاميركي لليهودية ، قوياً عنيفاً متواصلاً.. ومهما حاول مؤلف هذا الكتاب ان يظهر عنف ذلك الصراع، لما استطاع الى ذلك سبيلاً ، لان هناك فئات عديدة من اليهود ، جماعات وافراداً ، ذهبت ضحية ضغط الصهيونيين وفضلت السكوت وعدم اثارة ضجة حولها .

ولهذا ، فقد قررت ان ابسط في هذا الفصل ، فانشر بعض الحقائق باسهاب،لانني مطلع على هذه الناحية كل الاطلاع، وكنت احدى ضحاياها..

ففي عام ١٩٤٩ ، كنت قد ضقت ذرعاً بالاشخاص الذين نصبوا انفسهم وكلاء للتحدث باسمي واسم غيري من اليهود المعتدلين وكنت ادرك تماماً انه يجب الا ينفق سنت واحد من اجل انشاء دولة يهودية لانها لا تؤلف جزءاً من معتقدي كيهودي او من عاطفتي نحو ضحايا هتلر ؛ ولهذا فقد نقمت على الدعاية الصهيونية التي

ارادت ان تجعل مواطني المسيحيين الاميركيين يعتقدون ان جميع يهود اميركا يعملون من اجل الدولة اليهودية ، فكتبت مقالاً بعنوان « راية اسرائيل ليست رايتي » وارسلته الى مجلة « ساتردي ايفننغ بوست » وكانت هذه المجلة بالذات قد نشرت لسنوات خلت مقالاً مثيراً لملتون ماير بعنوان « القضية ضد اليهود » انتقد فيه مساعي اليهود في اميركا لبث فكرة العزلة وعدم الاندماج ببقية المواطنين الاميركيين ، واعلن تمسكه بمعتقده الديني الصحيح .

وكان لنشر مقال ماير في المجلة المذكورة ، صدى بعيد لدى الصهيونيين اذ ثاروا على اصحابها وراحوا ينشرون الدعايات السيئة ضدهم ، مما جعل تلك الصحيفة تمر باسوأ محنة عرفتها طيلة حياتها ، كما انها تلقت آلاف البرقيات والرسائل وكلها تصب جام غضبها على رؤوس اصحابها ، كما قطع الوف المشتركين اشتراكاتهم واعلاناتهم عنها دفعة واحدة ، مما اوقع المسؤولين عنها في ارتباك مالي لم يستعدوا له .

وما زالت ، حتى الآن ، عواقب مقال ماير ، عبرة قاسية تذكر جميع العاملين في حقل الصحافة بما ينتظرهم ان هم فكروا بنشر مقال يتعرض للصهيونية ولو بالنقد البسيط .

ويبدو ان اصحاب مجلة « ساتردي ايفننغ بوست » لم يكونوا على استعداد للمجازفة مرة ثانية بمقدرات مجلتهم ، اذ اعادوا اليّ المقال المذكور مذيلاً بالملاحظة التالية : « مع اقتناعنا التام بان مقالك يستحق النشر لما تضمنه من حقائق دامغة ، ودراسة قيمة ، فنحن نعتذر عن نشره . لانه لو كان جميع يهود اميركا يفكرون

بنفس العقلية التي تفكر فيها انت ، لما كان هناك من مشكلة صهيونية . . . »

ورحت اعرض مقالي على كثير من الصحف والمجلات الاميركية الكبيرة ، فاعتذرت كلها عن نشره مبدية نفس الاسباب التي ابدتها مجلة « ساترداي ايفننغ بوست » . . الى ان استقر اخيراً في ادارة مجلة ريدرز دايجست ، فوافق رؤساء التحرير على نشره ، غير عابئين بالحملات الصهيونية التي ستثار ضد مجلتهم الواسعة الانتشار في انحاء العالم ، لان الطبعة المخصصة للولايات المتحدة لا تنشر اعلانات . .

ومع ذلك كان على المسؤولين عن ريدرز دايجست ان يحتاطوا للامر ضد جميع الطوارىء والحملات التي قد تستخدم ضدهم ، فنشروا في نفس العدد الذي نشر فيه مقالي ، مقالاً آخر يعبر عن وجهة نظر الصهيونية كتبه الحاخام ابا هلال سيلفر بعنوان « قضية الصهيونية » .

ثم انهم دعوا اثني عشر يهودياً من يهود اميركا البارزين ، واطلعوهم على المقالين (قبل نشرهما) فقرروا انها افضل طريقة للتعبير عن وجهات النظر المتضاربة ، وان المجلة قد أدت خدمة عامة بعملها هذا .

ومع كل هذا ، فان تلك الطريقة الحيادية لم تحل دون اثارة نقمة زعماء الصهيونية الذين اتهموا اولئك الاثني عشر يهودياً بانهم اعداء الصهيونية ، هذا مع العلم ان من بينهم شخصية يهودية معروفة هي الحاخام ايزادور هوفمن ، المستشار الديني للطلاب

اليهود في جامعة كولومبيا .

وعلى الرغم من جميع هذه الاحتياطات التي اتخذت مقدماً ، فقد قوبل المقال المتفجر « راية اسرائيل ليست رايتي » بعاصفة شديدة من الحملات والانتقادات والتهويشات .

ولم ينجُ كاتب المقال من محنة تعرض لها لفترة من الزمان ، اذ انهالت على رأسه من على منابر جميع المعابد اليهودية ، ومن الصحافة اليهودية في طول البلاد وعرضها ، اعنف الحملات والاتهامات ، وشدت الصهيونية الخناق عليه ، مطالبة المنظمات اليهودية ، ورابطة مكافحة اعداء السامية ، بان تضع اسمه واسم امثاله في القائمة السوداء من اعداء السامية وان تتخذ تدابير فعالة بحق هؤلاء المارقين من اليهود الذين ينعون على الصهيونيين ولاءهم لاسرائيل مع بقائهم اميركيين والذي اغاظ تلك الصحف اليهودية كثيراً ، هو ان قراء ريدرز دايجست المسيحيين في مختلف اقطار العالم ، عرفوا لاول مرة ان «الوحدة اليهودية» هي نوع من الخرافة .

ولم تنجُ مجلة « ريدرز دايجست » ولا رؤساء تحريرها من موجة هذه الحملة العاصفة ، فقد كتبت صحيفة فيلادلفيا « جويش تايمس » تقول ان نشر مثل هذا المقال المحشو بالترهات والمغالطات يفتح المجال امام منظمات مكافحة اعداء السامية لتعيد النظر في موقف بعض اليهود المارقين . بينما قالت صحيفة « فلوريدان جويش » ان عصبة من الخونة واعداء السامية تعمدت نشر هذا المقال السخيف لاثارة الفتنة . اما صحيفة «ناشيونال جويش بوست» فقد طالبت بشن حرب مقدسة واصدار « حرم » بحق المؤلف واعضاء

المجلس الاميركي لليهودية الذين وزعوا مئات النسخ المجانية من عدد ريدرز دايجست الذي نشر فيه المقال .

وحيال هذه الحملات المتواصلة من الصحف ، تحركت المنظمات والهيئات الصهيونية واليهودية المتطرفة لاظهار نقمتها وسخطها على المؤلف والمجلس الاميركي لليهودية وعلى ناشري المقال الناري ، فدعت لمؤتمر عام اعربت فيه عن استنكارها الشديد لما ورد في ذلك المقال من مغالطات ، كما قررت اتخاذ التدابير اللازمة بحق المجلس الاميركي لليهودية لاتهامه الصهيونيين بعدم وطنيتهم وولائهم الى الامة التي يحملون جنسيتها ويتمتعون بامتيازاتها .

ولا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان تلك التهمة ثابتة ، لان الصهيونيين كانوا يفضلون مصلحة اسرائيل والصهيونية على مصالح الولايات المتحدة العليا .

واستمرت الحملات عليّ عنيفة قاسية ، وهوجمتُ من على اربعة عشر منبر كنيس يهوديا ، واتهمتُ بالمروق والتجديف على اليهودية ، وكان اعنف انتقاد لاذع تعرضت له ، هو الانتقاد الذي وجهه اليّ الحاخام ابراهام فلدمان راعي معبد بيت اسرائيل في هرتفورد .

ومدينة هرتفورد هذه عزيزة على قلبي ، لان بعضاً من عائلتي نشأ فيها ، وقد قضيت فيها طفولتي الى جانب عمي العزيز .

ولهذا فقد حزّ في نفسي كثيراً ان يقف الحاخام فلدمان في مساء يوم الجمعة في ٣٠ ايلول ١٩٤٩ ، وقبل عيد الغفران بايام ، ويوجه اليّ من اجل مقال صريح عن الصهيونية ، ابشع الاتهامات

واقساها ، نال عليها فيما بعد شكر زعيم الصهيونية في المدينة .

انه لمن المؤسف ان يستخدم منبر الله لغايات بعيدة كل البعد عن تعاليم الله .. لقد وقف الحاخام فلدمان يشوه اقوالي ووجهة نظري بصورة لا يرضى عنها الله ولا العدالة ، ثم راح - كما فعل زميله الحاخام سيلفر في مقاله بريدرز دايجست - يدعو لتأييد الصهيونية كحركة انسانية بحتة كما وصفت بانني وحش عديم الاحساس لا اشاطر اخواني اليهود آلامهم وتعاستهم .

ومع ان المقال المنشور في مجلة ريدرز دايجست قد اقتصر على بحث حقيقة رئيسية هي : هل يتوجب على الشعب اليهودي باجمعه ، بوجود دولة اسرائيل ، ان يتوجه الى هذه الدولة الجديدة ، ويدين لها وحدها بالولاء والاخلاص ، ويقدم لها المساعدات المالية والمعنوية والسياسية دون غيرها ..؟ الا ان الحاخام فيلدمان تجنب اثارة هذه الحقيقة حتى لا تصدمه الوقائع ، واكتفى بان وجه اليّ النصيحة بالتوجه الى العزة الالهية ، طالباً الغفران لطيشي وقسوتي على ما ألحقته بيهود اميركا من اضرار جسيمة ، وقد وصفني اصدقائي ومعارفي من يهود هرتفورد بعد تلك الموعظة الدينية ، بالخيانة لدولة اسرائيل الجديدة ، لانني اعلنت بصراحة ان اخلاصي وولائي للولايات المتحدة التي احمل جنسيتها لا ولن يتجزأ .. كما ان بعض اقاربي قاطعوني لمدة اشهر لهذه الصراحة وعندما زرت هرتفورد بعد عشرة اشهر من نشر المقال ، همس في اذني عدد كبير من اصدقائي ، بكلمات يؤيدون فيها موقفي ، ولكنهم لم يتجرأوا على ابداء وجهات نظرهم كما فعلت .

والجدير بالذكر ان الحاخام فيلدمان ، الذي كان يفاخر بمناصرته للحركة الصهيونية ولدولة اسرائيل راح يهاجم هذه الدولة بعنف وشدة، بعد ان سافر الى الارض المقدسة واطلع على حقيقة الاوضاع هناك ؛ وقد نشر بياناً باسمه ضمنه هذه الحقيقة ، اذاعته له الاوساط اليهودية الحرة وكان له صدى كبير في اوساط المنظمات والهيئات اليهودية .

وهنـــاك خادم آخر لله ، ابدى رأيه الصريح دون خوف او وجـل ، هو الحاخام « وليم روز نبلوم » راعي معبد اسرائيل في نيويورك ، وكنت قد اعتدت منذ صباي ان اتردد على هذا المعبد للصلاة وهناك تعرفت على هذا الراعي الامـــين المخلص لمعتقداته الدينية ، وعندما اثيرت تلك الضجة الصاخبة والاتهامـات حول مقالي ، افسح لي منبر معبده لارد على تلك الانتقادات ضـارباً بجميع المحاولات والضغط التي بذلت لاقناعه بمنعي من الكلام عرض الحائط . .

وكان ان القيت كلمتي في المعبد مدافعاً عن مقـــالي « راية اسرائيل ليست رايتي » رغم محاولات منعي، ثم نشرتها في كراس خاص بتاريخ ١٥ نيسان ١٩٥٠ .

* * *

ولأعد الآن الى سنين خلت . . الى صباح احد ايام السبت . . عندما تلقيت محادثة هاتفية من مجهول ، وكنت لا ازال في سريري وقال لي بلكنة اجنبية :

ـ هل انت ذلك الفأر الحقير الذي نشر مقالاً انتقد فيه الحركة الصهيونية في صحيفة بوست . . ؟

فسألته ببرودة :

– ومن انت ..؟

فجاءني الجواب :

– انني جوزيف هالوتس من الهاغانا واذا لم توقف مقالاتك ، فستقتل فوراً لانك تعرقل الاعمال التي ما زلنا نصارع من اجلها .

والى هنا انتهت المحادثة ...

ومن هذه الحادثة البسيطة التي جرت لي قبـــل نشر مقالي الاخير بسنين ، يمكن الاستنتاج ان قادة الصهيونية كانوا يحرصون على خنق كل صوت من شأنه ان يثير الشكوك في الرأي العام الاميركي عن وجود معارضة يهودية ضد الصهيونيين .

***

بعد قيام دولة اسرائيل ، كانت مشكلة اللاجئين العرب هي القضية الانسانية الخطيرة التي تحتاج الى معالجة سريعة . وكانت وكالة الاغاثة لفلسطين قد اعلمت هيئة الامم المتحدة عام ١٩٥٢ بان عدد اللاجئين يقدر بـ ٨٨٠ الفاً ، وان هذا العدد الضخم يعتبر عبئاً ثقيلا على عاتق البلدان العربية من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية .

والسؤال الذي اكرره هو : لماذا تعمدت هيئات اميركية مسؤولة ان تقلل من خطورة هـــذه المشكلة الانسانية حتى استفحل شرها ؟

والجواب على هذا السؤال ، يكمن في الرسالة التي كتبها عام ١٩٤٩ ، مستشار السفارة الاسرائيلية في واشنطن اذ قال : « إن كل اميركي يبدي اهتماماً بمشكلة اللاجئين العرب ، يعتبر – بنظر

الصهيونيين طبعاً – نصيراً للعرب ، وبالتالي عدواً للسامية . . . ! »

وقد كنت حتى عام ١٩٤٩ متحمساً لاطلاع الرأي العام الاميركي على حالة اللاجئين العرب والشقاء الذي يكابدونه ، وذلك عن طريق الصحافة . ولكن لم تفسح لي مجلة « ساتردي ايفننغ بوست » او « كوليرز » مجالاً للتوسع في اظهار خطورة هذه المشكلة الانسانية ، وكذلك فضلت مجلة ريدرزدايجست عدم الخوض في هذه القضية الشائكة ، لانها على حد تعبير رئيس تحريرها قضية متشابكة لا يمكن معالجتها بسهولة وحرية .

وفي عام ١٩٥٢ ، عادت مجلة ريدرز دايجست ونشرت بحثاً مستفيضاً عن هذه المشكلة بناء على معلومات صحيحة قدمها الدكتور ستيفان بنروز رئيس الجامعة الاميركية ببيروت .

واشير بهذه المناسبة الى ان السيدة اثريدج ، كانت قد وضعت تقريراً مفصلاً عن مشكلة اللاجئين العرب – قبل وضع كتابها الاخير – ولكنها لم تتمكن من نشره في اية صحيفة اميركية .

وفي صيف عام ١٩٥٢ ، اعادت مجلة « فرين » مقالاً بعنوان : « لماذا سنخسر الشرق الاوسط ؟ ! » الى كاتبه بحجة انه لا يصلح للنشر . . وتشاء الصدف ان يعاد المقال الى الكاتب وقد ربطت به رسالة من احد اصحاب المجلة موجهة الى رئيس التحرير يحذره فيها من نشر هذا المقال بقوله :

« من واجبك ان لا تنسى نفوذ الصهيونيين وحملاتهم ضد « فرين » في حالة نشر هذا المقال ! »

وهكذا رفض عدد من رؤساء تحرير المجلات نشر هذا

المقال الصريح لانه يضع مصلحة اميركا فوق كل اعتبار !

والحق يقال ان الصحافه الاميركية التي تتغنى بالحرية ، كانت دائماً تفقد هذه الحرية عندما تعالج قضية فلسطين والصهيونية على صفحاتها . . .

واتهامي هذا لا ينصب على الصحافة التي ايدت قيام اسرائيل بل على تلك الصحافة التي قصرت بواجبها الصحفي والانساني في اسماع وجهات النظر الاخرى المخالفة للصهيونية ، وعدم افساحها المجال امام اليهود المعتدلين لانتقاد غلاة الصهيونيين واساليبهم العنيفة في تحقيق اهدافهم .

وانني اتساءل من هم الاحرار ؟!

. هل هم هنري دالس وألن بار كلي وابا هلال سيلفر وفرد كرشواي وغيرهم من اصحاب النفوذ الذين ايدوا الصهيونية ؟

أم هم نورمان توماس وموريس ارنست وفنسان شيبان والسيدة اثريدج وهنري كوفمان ودورتي تومبسون وفرجينيا كيلدر سليف ، الذين قاوموا عن اقتناع واخلاص ، اساليب اليهود المتطرفين ، داعين لتحكيم العقل والمنطق . .

قبل ان انتهي من حديثي هذا ، لا بد لي ان اشير الى كاتب نبيل آخر هو هرمان دوك مؤلف كتاب « ثورة الكنعانيين » . فقد بعثت له بنسخة من مقالي « راية اسرائيل ليست رايتي » وبعد مدة تلقيت منه رسالة خاصة قال فيها :

«انه يأسف للحملة المغرضة التي ورطت نفسي بها من جراء هذا المقال . . » الى ان قال : « . . وكلما كانت القضية التي تعالجها

قضية حق.. كلما كانت غلطتك فادحة.. وكان عليك ان تنشر دعوتك اولاً في الأوساط اليهودية، كما يفعل الصهيونيون لتتمكن من مقاومتهم واتظهر لهم انك على حق وهم على ضلال ام ان تلجأ رأساً الى الصحافة دون مقدمات، فهذا ما لا اقرك عليه.. لسبب بسيط هو ان الدعاية الصهيونية قوية ومتغلغلة في نفوس الاميركيين».

ويشير المستر دوك في رسالته اخيراً الى مقال ماير الذي نشرته صحيفة بوست وتعرضت بسببه لخسائر مادية جسيمة فيأسف للمصير السيىء الذي انحدر اليه ماير، آملاً ان لا يكون مصيري نفس مصيره..

ثم كرر اسفه للموقف الحرج الذي انا فيه وللأضرار التي ستصيب اليهود الاميركيين من جراء سياسة الصهيونية..

وأختتم كلامي في هذا الفصل بالقول: انني كنت وما زلت اناشد اليهود الاميركيين ان لا يفرضوا بالدماء والمخاوف سياسة اجنبية عنهم.. ليست هي في مصلحتهم بشيء..

الفصل الثامن

مشاكل الشرق الاوسط

*

يعتبر الشرق الاوسط حلقـــة الاتصال بين الشرق واوروبا وآسيا وافريقيا ، وبحكم موقعه الستراتيجي هذا ،يسيطر على اكثر الطرق الجوية العالمية .

ويقطن هذه المنطقة حوالى ٤٥ مليون عربي ، يشد ازرهم ٣٥٠ مليون مسلم منتشرين في انحاء العالم ، وتغلي نفوسهم بحقد دفين على الغرب . وان هذا الحقـــد الدفين المتأصل في نفوسهم ، يهدد بالخطر الشديد مصالح الولايات المتحدة الحساسة في تلك البلدان .

وليس هذا وحده هو الذي يهدد مصالح الولايات المتحدة .. فهناك الاتحاد السوفياتي المتاخم لحدود بعض بلدان الشرق ..

فان روسيا السوفياتية تقف عند الحدود متحفزة للانقضاض على آبار البترول الغزيرة في ايران والعراق والكويت عندمـــا تدق الساعة .

ولا يخفى ان كل تغلغل سوفياتي في اية بقعة من بقاع الشرق الاوسط معناه تهديد مصالح اميركا في اليونان وتركيا ..

ثم ان الستراتيجية السوفياتية قد لا تكتفي بالقليل ، بل لعلها تشق طريقها لتنفذ الى مصر ومنها الى شمالي افريقيا ..

ولقد كان الكرملين ، منذ سنين ، شديد الاهتمام بهذه البقعة الغنية من الشرق ، ففي عام ١٩٤٠ اقترح مولوتوف على السفير الالماني في موسكو عقد اتفاقية بين برلين وموسكو تقضي باقتسام مناطق النفوذ بين الدولتين الكبيرتين ، على ان يترك للروس المنطقة الممتدة جنوبي باتوم وباكو باتجاه الساحل حتى الخليج الفارسي.

وفي نهاية الحرب العالمية الاخيرة ، اثار الروس هذه القضية مجدداً ، وطالبوا بالاشتراك في الاشراف على المضايق التركية ، ولما رفض ساسة الغرب الموافقة على هذه المطالب عمد الروس الى اثارة الاضطرابات ، والقلاقل على الحدود الروسية الايرانية وكان ذلك في عام ١٩٤٦ ، وقد استعانوا بحزب توده في اذربيجان لتحقيق اغراضهم ، ولكنهم ما لبثوا ان اوقفوا نشاطهم في تلك البقعة ، واتجهوا الى ناحية اخرى ، حيث شنوا حرب اعصاب على تركيا ، مطالبين بالوصاية على قسم من المستعمرات الايطالية بافريقيا.

ومن جهة ثانية راحوا يثيرون بعض العناصر العربية ضد المعسكر الغربي . ومما اذاعوه في دعاياتهم في الاوساط العربية ، ان هدف روسيا من الموافقة على قرار التقسيم هو طرد الانكليز من فلسطين ليس الا .. وهي الخطوة الاولى لاخراج جميع القوات الاستعمارية من الشرق العربي وشمالي افريقيا . ومع ذلك فان تشيكوسلوفاكيا ، وهي احدى الدول التابعة لروسيا لم تتورع عن امداد اسرائيل بالاسلحة ابان محنتها عام ١٩٤٨ .

وقد بدأت اخيراً حكومة واشنطن تقـــدر سياسة جيمس فورستال ، بعد مضي ست سنوت ، اذ اتضح لها ان الارض العربية تحتوي على ٥٠ الى ٥٥ بالمائة من البترول الخام في العالم ، وتقدر الكمية التي تستخرج من آبار السعودية العربية والعراق والكويت والبحرين بحوالي مليوني برميل يومياً . بينما لا يزيد انتاج روسيا والبلدان التابعة لها عن مليون برميل يومياً .

وهذه الحقيقة توضح الاسباب التي تجعل السوفيات يتطلعون الى الجنوب عبر بحر قزوين ..

والى هذا الزيت العربي الغزير يعود الفضل في انعاش اوروبا الغربية وتعميرها ..

ففي عام ١٩٣٨ كانت اوروبا الغربية تستورد ٢٥ بالمائة من استهلاكها من بترول الشرق الاوسط ، وبعد مضي عشر سنين فقط اي في عام ١٩٤٨ ، ارتفعت هذه النسبة فاصبحت ٦٢ بالمائة ، وفي عام ١٩٥٠ اصبحت ٨٥ بالمائة وفي ١٩٥٣ اصبحت ٩٧ بالمائة تقريباً . يضاف الى ذلك ، ان المواقع الستراتيجية الهامة موجودة بكثرة في انحاء الشرق العربي ، فهناك مثلاً مطارات الحبانيـــة والشعيبـــة في العراق والظهران بالسعودية والبحرين ومطار هليوبوليس قرب القاهرة ، وكلها تؤلف حاجزاً قوياً في وجه التوسع السوفياتي ، ما دامت هذه البلاد تعارض الفكرة الشيوعية .

ولقد كان خروج بريطانيا من فلسطين إثر تفاقم الحالة فيها بين العرب واليهود ، اعترافاً صريحاً بانهيار قوتها في تلك البقعة ، ولذا راح المصريون والايرانيون يرددون : انه اذا كان اليهود قد تمكنوا

من اخراج البريطانيين ، فلماذا لا نفعل نحن ذلك ايضاً ..؟

وقد ايقظت الحوادث في الشرق الاوسط الشعور القومي في صدور العرب بشمالي افريقيا ، فقاموا يطالبون بالاستقـــلال والخلاص من نير الاستعمار الفرنسي ، وقـد تطورت الحوادث هناك بحيث اصبح من المتعذر الوصول الى اتفاق ودي بين السلطات الفرنسية المستعمرة والاهالي ، وكان لا بد لأميركا من التدخل بين الفريقين ، لتقوم بدور الوساطة (لان لاميركا في مراكش خمس قواعد جوية ستراتيجية) .

ثم ان قيام دولة اسرائيل ونجاح الصهيونيين الوطنيين في تدعيم هذه الدولة الجديدة ، احدث ردة فعل قوية في العالم العربي ، لاسيما بين تلك الدول العربية التي كانت لسنوات خلت ، متفرقة الكلمة يسود التوتر علاقاتها ، فاذا بنقمتها على الدولة الجديدة وخوفهـا من توسع يهودي مقبل ، تجعلهـــا تتفق وتوحد كلمتها .. وتعمدت الى تقوية الجامعة العربية ، كما اوجدت مشروع الضمان الجماعي العسكري ، وقد قام الى جانب ذلك كتلة اسلامية ممتدة من ايران حتى باكستان ، اعلنت تأييدها ومناصرتها لمطالب العرب ..

وفي هيئة الامم تألفت كتلة اطلق عليها اسم الكتلة العربيـة الاسيوية تضم حوالي ١٥ دولة ، اظهرت في كل مناسبة تأييدهـا التام للمطالب العربية ، كما انها تعمل عـــلى انشاء معسكر ثالث حيادي يقف بين المعسكرين الغربي والشرقي المتنافسين . وتتألف هذه الكتلة من الهند وبورما وسيام وسيلان والفلبين واندونيسيا وايران يضاف اليها الدول العربية الاعضاء في المنظمة .

لقد كادت كراهية «الغربي» تزول من نفوس الشرقيين ، على مرّ الزمن ، بعد ان قدمت البعثات الثقافية الاميركية والاوروبية خدمات جلى للنشء العربي الجديد .. فهناك بالاضافة الى المؤسسات الدينية ، المعاهد العلمية والمصحات والمستشفيات والمؤسسات الاجتماعية ، والى جانب المؤسسات الفرنسية والبريطانية قامت عدة معاهد وجامعات اميركية لها شهرتها ومكانتها امثال كلية بوسطن في بغداد ، وكلية حلب ، وجامعتي القاهرة وبيروت الاميركيتين ، وقد قامت هذه المؤسسات العلمية بتثقيف الشباب العربي ثقافة صحيحة . ولكن جميع هذه الجهود كادت تتلاشىء امام السياسة الخاطئة التي انتهجتها الحكومة الاميركية ضد مصالح العرب في فلسطين وقيام دولة اسرائيل .. مع ان الاجدر بها كان ان تتدخل لتسوية المشكلة بين الطرفين ، بدلاً من ان تظاهر الصهيونيين وتؤيدهم تأييداً اعمى ضد العرب .

وهذا ما اثار النقمة والسخط في نفوسهم .

ولعل ابلغ دليل على سخط العرب على قيام اسرائيل هو ما تسمعه من رجل الشارع في اي بلد عربي حين يقول لك بكل صراحة :

« انه يفضل الف مرة التحالف مع روسيا على ان تقوم دولة يهودية في ارض عربية ... »

والظاهر ان الولايات المتحدة لم تأخذ هذا القول بعين الاعتبار حتى الآن .. ولكن السوفيات أدركوا تأثيره وراحوا يضحكون في سرهم من غباوة الساسة الاميركيين .

واذا استمرت سياسة اميركا الحمقـــاء تسلك نفس الطريق ، فسيأتي اليوم الذي يكسب فيه السوفيات الصداقة العربية ويتسربون الى صميم الشرق ليحلوا مكان الاميركيين . .

ومما ضاعف نقمة العرب وحقدهم على اميركا، مشكلة اللاجئين العرب الذين طردهم اليهود من ديارهم في فلسطين عـــام ١٩٤٨، والذين ينتشرون الآن في البلدان العربية يسكنون الخيام ويعيشون على الطوى ، على الرغم من المساعدات الضئيلة التي تقدمها لهم هيئة الامم المتحدة . . هذه المساعدات التي لا تتجاوز « سبع سنتات » لكل لاجىء منهم يومياً . . ومع ان هيئة الامم اقرت عدة مشاريع لتشغيلهم في النواحي الزراعية والمائية ، فهي لم تنفذ منها غـــير القليل حتى الآن . .

وقد انتشرت في اوساط اللاجئين دعاية واسعـة ضد السياسة الغربية وسياسة اميركا خاصة ، وهي تقول : « ما اكرم الولايات المتحـدة في معاملة المشردين (مشردي اوروبا) الذين لم تكن مسؤولة عن تشريدهم ، وما اقساها في معامـلة المشردين العرب الذين هي مسؤولة مباشرة عن تشريدهم . . ! » أو لم يكونوا هم ضحايا الضغط الاميركي على هيئة الامم . . ؟!

مـن المعلوم ان الاحزاب الشيوعية في البلدان العربية محظور عليها ان تمارس نشاطها السياسي ، ولكنها مع ذلك تعمل سراً وعلى عدة جهات ، وقد استطاعت ان تتغلغل في الحركات الوطنية ، مستغلة تفاقم نقمة العرب على اميركا . . ويجب الاعتراف هنا ان السياسة الاميركية الخاطئة كانت من اهم العوامل التي ساعدت على

نمو الشيوعية وازدهارها ..

وقد كتب الاستاذ شارل مالك سفير لبنـــان في واشنطن ورئيس اللجنـــة الدولية لحقوق الانسان في احدى المجلات عام ١٩٥٢ يقول :

« .. واذا كانت اسرائيل ستبقى متمسكة بعنادها ، وتنال كل ما تريد بفضل ما لليهود من نفوذ في اميركا ولاسباب سياسة اخرى، فجل ما أخشاه ان لا يخيم السلام ابداً على الشرق الاوسط ، وستكون اميركا هي المسؤولة عن هذه النتيجة . »

ومنذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٥٣ نالت اسرائيل من الولايات المتحدة بصفة هبات حكومية وقروض ومساعدات اقتصادية وفنية وآلات زراعية وصناعية مـا يقدر بمائتين وخمسة وتسعين مليون دولار باستثناء الستمائة مليون دولار التي تبرعت بهـــا مؤسسات اميركية يهودية وغير يهودية ، وسمحت الحكومة الاميركية بتحويلها الى اسرائيل ؛ يضاف اليهـــا ريع سندات القروض لاسرائيل والذي يقدر بحوالى خمسمائة مليون دولار .

بينما لم تنل الدول العربية السبع التي تحيط باسرائيل ، من المساعدات والقروض الاميركية الا النذر اليسير ..

فمنذ عام ١٩٤٨ من حزيران الى عام ١٩٥٣ نالت دول مصر واليمن والسعودية وسوريا ولبنان والعراق والاردن مبلغ ٨٨ مليون دولار للمشاريع الاقتصادية ، كمساعدات وقروض ، بما فيها مساعدات النقطة الرابعة الفنية .

كما ان هناك مبلغ ١٥٣ مليون دولار مخصص للاجئين العرب ،

وقد وضع تحت تصرف وكالة غوث اللاجئين الدولية . وهـــذا المبلغ انفق للابقاء على اولئك اللاجئين البؤساء احياء بعد ان شردوا من ديارهم في فلسطين ، ولم ينفق لتحسين الاوضاع الاقتصادية والزراعية والصحية في البلدان العربية .

اما التحويلات المالية الممنوحة للدول العربية من مؤسسات اميركية خاصة ، فضئيلة جداً بالنسبة للمبالغ الباهظة التي حصلت عليها اسرائيل عن طريق الدعاية الصهيونية الواسعة في الولايات المتحـــدة .

وقد نشر احصاء عن المساعدات الاميركية الممنوحة لاسرائيل في احدى المجلات الاميركية تحت عنوان « واشنطن تقـــدم لاسرائيل المعونة الاقتصادية » ذكر فيه كاتبه « هال لهرمان » ان اسرائيل تأتي في مقدمة الدول التي ظفرت بحصة الأسد من المساعدات الاميركية بالنسبة لعدد سكانها وضيق رقعتها ، وتأتي بعدهـــا اليونان . وهذا الاحصاء يشمل المساعدات الحكوميـــة فقط . اما المساعدات والتبرعات وسندات القروض التي تنتقل اموالها الى الدولة الجديدة فلا يمكن احصاؤها بالضبط .

وقـــد استندت السياسة الاميركية في اغداق المساعدات الكبيرة على اسرائيل ، الى انهـا دولة ديمقراطية النشأة . وكأن باقي دول الشرق الاوسط جميعها ليست ديمقراطية ..!!

وقد علق مارك اثريدج ناشر مجلة « كوريه جورنال » على هذا الموضوع بالذات في خطاب له في جامعة فرجينيا عـــام ١٩٥٢ (واثريدج هو من مؤيدي سياسة ترومان في غير هذه القضية)

فقال :

« ان القول بان اسرائيل هي حصن الديمقراطيـة في الشرق الاوسط لا معنى له ، لان اسرائيل لا يمكنها ان تكون حصناً للديمقراطية وهي مرتكزة على الهبات والقروض ،فتستورد البترول من فنزويلا واللحوم من الارجنتين ، ثم انها ليست على وفـــاق وسلام مع اقرب جيرانها الدول العربية ، والحقيقة انـــه اذا خصصت اميركا مبالغ نسبية للدول العربية فستدهش من التطور السريع الذي ستجنيه الديمقراطية في هذه الدول ..

هذا مع العلم ان اكثر من خمسي سكان اسرائيل هم من البلدان العربية وشمالي افريقيا ،وهذه النسبة تتزايد على مرّ الزمن ،ومعنى ذلك ان سكان هذه الدولة الناشئة لا يختلفون في عقليتهم وتفكيرهم من حيث المبادىء الديمقراطية عن جيرانهم .. »

لقد كان الفشل الحقيقي لادارة ترومان هو انها في حاجة ماسة الى خطة شاملة تستوعب جميع السياسات المحلية وتمزجها في بوتقة واحدة لتخلق منها سياسة اميركية منسجمة مع مصالحها العليا . فاذا كانت غاية اميركا هي مكافحة الشيوعية ، ، باعتبـارها الخطر الرئيسي في الشرق الاوسط ، فمن الواجب عليها ان تركز جهودها عليها ...

ومن الواضح ان قوة التوازن الدولي هي الآن في ايدي الشعوب العربية والاسيوية بما لديها من امكانيات ضخمة وموارد طبيعية ، فكان على الولايات المتحدة ان تسعى لصداقتها ،ولكنها خلقت لها اعداء بين هذه الشعوب من جراء سياستها في فلسطين ..

لقد وقف مندوبو هذه الشعوب التي يبلغ عدد سكانهـا ٤٦٠

مليوناً يعارضون هذه السياسة ويطالبون بانصاف العرب ، ولا يسهى عن البال ان مندوبي الدول التي تغيبت عمداً عن التصويت على التقسيم وغيره من القرارات ، يقدر سكانها بـ ٦٢٠ مليوناً.

وبعبارة اخرى .. نقول ان اميركا تبنت قضيـــة لم تنل سوى ٣٣ ونصف بالمائة من تأييد العالم ، بينما عارضها ٢٩ بالمـائة وامتنع ٣٧ ونصف بالمائة عن التصويت وقد يسوء اميركا ، ان يعرف المرء ان ٤٠٠ مليون آخرين معارضين ، هم في شمالي افريقيا وبورما ومنشوريا واندونيسيا واليابان ، ولم يكونوا اعضاء في هيئة الامم عام ١٩٤٧ .

وكما يقول المثل الاميركي : «ان الولايات المتحدة قد وضعت جميع بيضها في اصغر سلة بالشرق الاوسط ..»

ومما زاد في حراجة وضع اميركا ، موقفها المتأرجح من شكوى تونس ومراكش على فرنسا ، اذ انها انتهت اخيراً الى تأييد فرنسا في اعتدائها ومساندتها على ابقاء استعمارها على هذين القطرين من الشرق .

وفي اجتماع الجمعية العمومية الاخير ، عرض ثمانية من مندوبي الدول الصغيرة مشروعاً على الهيئة يقضي بدعوة الدول العربية واسرائيل الى تسوية خلافاتها ؛ ولكن مندوبي الدول العربية رفضوا المشروع ، مشترطين قبل البحث فيه ، ارغام اسرائيل على تنفيذ قرارات هيئة الامم ومجلس الامن الدولي بشأن تدويل القدس وحق العرب الفلسطينيين بالعودة الى ديارهم .

وهذا المشروع كانت اللجنة السياسية الخاصة قد أقرته باكثرية ٣٢

صوتاً ضد ١٣ وتغيب الكتلة السوفياتية . وعندما احيل على الجمعية العمومية لاقراره بصفة نهائية انضم الى الدول العربية والاسيوية سبع دول لاتينية وبذلك رفض المشروع ، لعدم توفر ثلثي الاصوات المطلوبة ؛ والسبب الذي دفع هذه الدول للوقوف الى جانب الكتلة العربية الاسيوية هو تصريح نشرته « نيويورك تايمس » لرئيس الحكومة اليهودية دافيد بن غوريون وقال فيه ان قضية القدس امر واقعي لا يجب البحث فيه . والمعنى الصريح لهذا القول هو تحقير واضح لقرارات هيئة الامم التي اتخذت ثلاث قرارات متتالية بوجوب تدويل القدس ، ومنحت كافة الصلاحيات الى لجنة التوفيق الدولية لاتخاذ التدابير اللازمة للتدويل .

وفي عام ١٩٥٠ رفضت الجمعية العمومية اقتراحاً سويدياً يقضي بوضع نظام خاص على الاماكن المقدسة فقط دون ان يشمل المدينة كلها .

وحتى الآن .. لا تزال مدينة القدس القديمة بايدي السلطات الاردنية ، بينما اصبحت المدينة الجديدة عاصمة لاسرائيل رسمياً .. هذا مع العلم ان عدداً كبيراً من البعثات الدبلوماسية بما فيها سفارة الولايات المتحدة رفضت الانتقال الى القدس واحتفظت بمركزها في تل ابيب .

والجدير بالذكر ان في الدورة النهائية للاقتراع على اجراء مباحثات بين العرب واسرائيل ، وقفت الكتلة السوفياتية الى جانب العرب . كما أيدت شكوى شمالي افريقيا ضد فرنسا وانكلترا واميركا .

وهكذا اتسعت الهوة بين الدول العربية والولايات المتحدة ، واصبح ايمان العرب بالنظام الديمقراطي ضعيفاً .. بينما تضاعف اقتناعهم بان الروس هم حماة الحرية..

وزاد في تثبيت هذا الاقتناع ان اليهود الشيوعيين الذين في داخل اسرائيل نفسها ، رفعوا الصوت بالتعبير عن شعورهم الانساني نحو اللاجئين العرب ، واعترضوا على ايجاد طبقة ثانية من الاقلية العربية المحصورة في الناصرة .

وبينما راحت المانيا الشرقية التي يسيطر عليها الروس ، تتودد الى العرب ، قامت المانيا الغربية ، بضغط من الولايات المتحدة ، تحاول استرضاء اسرائيل ، ووافقت على دفع مبلغ ٧١٥ مليون دولار كتعويضات لليهود عن الخسائر والاضطهاد التي انزلها بهم الحكم النازي ، كما وافقت على دفع ١٠٧ ملايين دولار الى ٢٢ مؤسسة يهودية في اميركا مقابل الاملاك اليهودية في المانيا . كما وافقت ايضاً على ان تقدم بضائع مختلفة الى اسرائيل بقيمة هذه التعويضات لمدة ١٢ سنة ، وذلك لتعزيز الاقتصاد اليهودي في الدولة الجديدة .

والطريف في الامر .. انه لكي تتمكن المانيا الغربية من تسديد هذه التعويضات ، وافقت الولايات المتحدة على منحها القروض اللازمة . .

ولما كانت الدول العربية تعتبر نفسها في حالة حرب مع اسرائيل فقد اعترضت على هذه التعويضات ، واعتبرت موافقة المانيا الغربية خرقاً للحياد ، مستشهدة بموقف المانيا الشرقية التي رفضت دفع

مبلغ ٥٠٠ مليون دولار ،طالبت اسرائيل بها كتعويضات..

ويجب الاعتراف في هذا المجال ، بان وضع اسرائيل من الدولتين الكبيرتين ، روسيا واميركا ، لا يزال قوياً ..

فهي من جهة تستمد قوتها من معونة العناصر اليهودية الشيوعية التي اتخذت اسرائيل وطناً لها ، وراحت تنشر مبادئها الشيوعية في ارض فلسطين دون ان تقطع اتصالها بالكرملين ..

ومن جهة ثانية ، فان قادة الصهيونية الاميركيين استمروا في سياستهم المعتادة ، وهي التغرير بالساسة الاميركيين والتأكيد لهم في كل مناسبة بان اسرائيل لن تكون الا دولة ديمقراطية قلباً وقالباً ...

* * *

الفصل التاسع

خرافة الشعب المختار..!

*

ان جميع مشاكل فلسطين تدور حول سؤال واحد :

ما هي اليهودية ..؟

ان اسرائيل اليوم تضم شعباً يتكلم لغة واحدة هي العبرية الحديثة ، ولها حكومة منبثقة عن هذا الشعب ترعى مقدراته .. وفي اسرائيل ايضاً شعب يدين بالايمان اليهودي، ويحمل في الوقت نفسه الجنسية الاسرائيلية ، مع العلم ان هناك طائفة كبيرة من اليهود تعيش خارج هذه الدولة الصغيرة وتحمل جنسية هي غير الجنسية الاسرائيلية .. وليس في هذا الامر ما يدعو الى الدهشة او الاستغراب فالعالم مليء بشتى الشعوب التي تشارك غيرها المعتقد الديني ، ولكنها لا تشاركه الجنسية ..

ولهذا فان الرابطة المشتركة التي تجمع بين اليهود المقيمين في اسرائيل وبين يهود العالم، تقتصر على الناحية الدينية فقط، وليست على الجنسية الاسرائيلية الجديدة التي قامت مؤخراً نتيجة قيام الدولة الجديدة .

ولكن ما هي هذه الوطنية ..؟

الوطنية هي الرغبة الصادقة لفريق من النـــاس ، في السعي للتكتل وإنشاء دولة مستقلة لهم ..

ومع ان الشعب اليهودي ، اصبح لا وجود له منذ عام ٧٢ ميلادية ، الا ان الشعور الوطني ظل حياً في نفوس اليهود على مرّ الاجيال ، يدعوهم للعمل على جمع شعث هذه الامة المتفرقة واعادة انشاء دولة يهودية ، واستعادة مجدها الغابر .

وبقيام اسرائيل ، اعتبر ان الشعب اليهودي باسره ، قـــد استعاد كيـانه مجدداً ، وان الدولة الجديدة هي الوطـن القومي لكل يهودي في العالم . وقد اعتمدت الوطنية اليهودية في دعاياتها الواسعة بالاوساط اليهودية ، على التعاليم الدينية اليهودية وعـلى ان اليهود هم شعب الله المختار كما ورد في التوراة .

وقد وصف الصهيونيون ، اليهود الذين يعيشون خارج اسرائيل بالمشتتين ، وقالوا ان وضعهم الحاضر ليس طبيعياً ، لانهم يعيشون في المنفى . . ! وانه لا بد من جمع شتاتهم واعـادتهم الى اسرائيل ليساهموا في بناء الدولة اليهودية العتيدة . . !

وعلى هذه الاسس الدينية والتاريخية ، اعتمدت الصهيونية في دعاياتها لتحويل اليهودية من دين موحد الى حركة سياسية ، كيما تخلق منها امة يهودية لها طابعها السياسي ضمن ارض اسرائيل .

الا ان فريقاً كبيراً من يهود العالم ظل ، على الرغم من قيام اسرائيل ، لا يعتبرها الموطن الطبيعي الذي يتوقف عليه مصيره وكيانه . .

ولهذا، كان هدف الصهيونية منذ البدء جمع اشتات اليهود من انحاء العالم واعادتهم الى صهيون ..

وفي نشيدهم القومي المعروف باسم « هاتكفا » ادعاء صريح بان اليهود هم شعب واحد ، وان اسرائيل هي دولتهم العتيدة..!

وهذا الادعاء بان هناك وحدة سياسية تجمع بين يهود اميركا في بوتقة واحدة ، واستغلال هذه الوحدة المزعومة للضغط على الحكومة الاميركية، هي التي ضمنت لدعاة الصهيونية نجاح حملاتهم.

وفي عام ١٩٤٤ ،أتيح لي ان ازورَ بعض بلدان الشرق الاوسط مع القوات الاميركية المرابطة في القاهرة ، وقد انتقلت بعد ذلك الى معسكر اميركي في فلسطين بالقرب من المستعمرة اليهودية « تل ليفنسكي » .

وخلال اقامتي في هذا المعسكر تعرفتُ الى شاب يهودي متحمس للوطن القومي اليهودي ،فالحّ عليّ لزيارة تل ابيب وبعض المستعمرات اليهودية المجاورة لها ، فقبلتُ .

ويجدر بي الاعتراف ، اني شاهدت مجهودات جبارة ، بذلت لتحويل الاراضي الرملية الى جنّات وحدائق خضراء بديعة الهندسة. وقد اظهرت اعجابي لرفيقي الشاب ، بهذه الاعمال ، فتهللت اساريره ، وراح يتدفق كالسيل متحدثاً عن المشاريع اليهودية لبناء فلسطين ،والجهود الجبارة التي يبذلها زعماء الصهيونية لانشاء الدولة اليهودية العتيدة و .. واقولها بصراحة انه لم ينجح باقناعي لأن اشاركه شعوره وآماله ..

لسبب بسيط ..

فقد كان يتكلم بدافع وطنيته الاسرائيلية، بينما كنت استمع اليه باذن الاميركي الوطني المخلص ..

لقد كانت نظرة الاميركيين ، الى دولة اسرائيل تنحصر بانها ملجأ امين لليهود، ولهذا السبب منحوها مئات الملايين من الدولارات لتستطيع العيش والصمود .. بينما اعتقد الوف من يهود اوروبا الذين يعيشون في اسرائيل، ان هذه المساعدات المالية الاميركية، لا تمنح لهم بدافع انساني فحسب، وانما للاعتراف بعقيدتهم الوطنية.

وفي ايار ١٩٤٥ ، اجتمع في سان فرانسيسكو ، ممثلو الدول الحليفة المنتصرة ، لتأسيس منظمة هيئة الامم المتحدة ، وخلال المشاورات الاولية ، فوجيء الممثلون بخطيب متحمس ، احاط به عدد من الشباب اليهودي الاميركي ، يقول صارخاً :

« نريد ان نعود الى ديارنا .. الى وطننا .. الاول ..» ولم يكن هذا الصوت صادراً عن رجل لا وطن او مسكن له ، وانما كان صادراً من بين شفتي احد خطباء اميركا الموهوبين الحاخام ستيفان واين .. وقف يتكلم باسم عشرة ملايين يهودي منتشرين في انحاء العالم ويحملون عدة جنسيات مختلفة ، قائلاً انهم ينحدرون من اسلافهم العبريين الذين كانوا يسكنون فلسطين ..!

وهذا الحاخام لعب دوراً كبيراً في الاوساط اليهودية الاميركية من اجل تدعيم الصهيونية ، والدعاوة لها ... فهو الذي قال :

« انا لست مواطنا اميركياً ادين بالايمان اليهودي .. بل انا يهودي .. واميركي . لقد كنت اميركياً لمدة ٦٤ سنة من

حياتي .. ولكنني كنت يهودياً منذ اربعة آلاف سنة » .

واليهود الاميركيون الذين نجح الدكتور وايزمن باقناعهم بالانضمام الى الصهيونيين ، لم يذهبوا جميعهم الى فلسطين ، لقد قرر البعض البقاء حيث هم ، بينما توجه البعض الاخر الى فلسطين ، وهؤلاء لم يذهبوا الى فلسطين لانشاء دولة لهم ، وانما الاستيطان بالارض المقدسة .

وعندما زار السير موسى مونتيفيوري فلسطين عام ١٩٣٧ ، كان عدد اليهود فيها لا يتجاوز تسعة آلاف شخص ، يعيشون في مدن القدس وحبرون وطبرية وصفد . وقد ابدى استعداده لمساعدة جميع اليهود الذين يرغبون بالعودة الى الارض المقدسة لاستيطانها ، متكفلاً بدفع النفقات لليهود العائدين .. وقد جاء من بعده البارون ادمون روتشيلد يكمل هذا العمل .

والحق يقال ان هذه الاعمال لم تقلق راحة العرب ، ولم يعارضوها ابداً .. لانها لم تكن تخفي نيّة سيئة مبيتة ..

وحتى الحرب العالمية الاولى ، لم يكن قادة الصهيونية انفسهم ، قد وجهوا انظارهم نحو فلسطين لجعلها وطناً قومياً لهم . وانما كانت اهدافهم منحصرة في ذاك الحين في « ايجاد وطن شرعي للشعب اليهودي » .

وفي عام ١٩٠٣ قام هرتسل يعلن انه يؤيد العرض الذي تقدم به الانكليز لانشاء وطن قومي لليهود في مقاطعة « اوغنده » الافريقية ؛ اي مستعمرة « كينيا » حالياً ؛ وهذا العرض كان قد تقدم به جوزف تشمبرلن واللورد لاندسدون الى هرتسل

بالذات .

وعندما عرض هذا المشروع في مؤتمر الصهيونية العام سنة ١٩٠٥ ، وقف شاب روسي من مدينة « موتول » بمقاطعة منسك، يعارض بشدة هذا الاقتراح ، ولم يكن هذا الشاب سوى حاييم وايزمن ، مع العلم ان والد وايزمن كان قد وافق على المشروع نفسه في العام السابق .

وكان هناك فريق آخر من اليهود ، لم يصر على جعل فلسطين « وطناً قومياً لليهود » ، وكان في طليعة هذا الفريق اسرائيل زانكويل ، احد الاعضاء البارزين في المؤتمر الصهيوني ..

ولكن وايزمن وجميع زعماء الصهيونية في اوروبا الشرقية لم يقبلوا عن فلسطين بديلاً.. وكانت لهم عبارة مأثورة : « فلسطين او لا شيء » .

لقد كانت ممارسة الطقوس الدينية اليهودية ، بالنسبة لهم ، لا تكفي لان يصبح الانسان يهودياً . (لان الغالبية منهم لا يهمها من اليهودية سوى الحركة السياسية). واليهودي في نظرهم ، هو الذي خُلق يهودياً ، واسرائيل هي وطن اليهود ، لان نعرة الكراهية السامية لا يمكن ان تمحى من على الارض ، ولان اليهودي لا يستطيع العيش بحرية وهناء خارج اسرائيل..

وهذه الفلسفة اليائسة، كانت وما زالت فلسفة الصهيونية..وعلى أسسها قامت دولة اسرائيل ، لانها كانت دوماً تتردد على الأفواه: «ان لا كرامة لليهود الا عندما يعيدون انشاء دولتهم اليهودية ذات الطابع اليهودي من حيث اللغة والعادات والثقافة والحكومة . »

وقد تعمدت الصهيونية اغفال الدين من القائمة ، لانها كانت منذ نشأتها لا تعبأ بالمعتقد الديني اليهودي ولا يهمها منه الا استغلال معتنقيه من اجل تدعيم اهدافها ..

وفي اميركا ، كان من الصعب نشر مبادىء الصهيونية؛ لان اليهود هناك لم يتعرضوا لاي نوع من التعذيب والاضطهاد.. لذلك راحت الصهيونية تستغل بؤس مشردي اوروبا وتعاستهم في بث دعوتها.. فلاقت التأييد ، وصار يهود اميركا من اشد انصار الصهيونية تحمساً ، مع انهم لم يتعرضوا لاي اضطهاد او تعذيب ، وحملوا راية الصهيونية وراحوا يعملون على انشاء دولة يهودية في الارض المقدسة .

واذا كان حاييم وايزمن نابغة الصهيونية السياسي ، وهرتسل فيلسوفها ، فان آحاد حاييم هو اب الصهيونية الروحي (واسمه الحقيقي آشار جنسبرغ). فقد كانت مهمته تنحصر في احياء الثقافة اليهودية وازدهارها ونشرها في الأوساط الاميركية في هالة من روحانية الدين . وقد تحدث في رسالة بعثها الى وايزمن عام ١٩١٨ ، عن انشاء جامعة عبرية يمكنها ان تكون المركز الحقيقي للثقافة العبرية. وبالفعل لم ينقض سبع سنين على هذه الرسالة حتى ظهرت جامعة القدس العبرية الى عالم الوجود ..

والواقع ان قادة الصهيونية من الاميركيين الأولين كانوا من العلماء البارزين ، الذين يدينون بالمبادىء الانسانية البحتة ، امثال « آحاد حاييم » الذي كان لا يقتصر عمله على الناحية السياسية فحسب ، بل تعداه الى الثقافة والتربية ، ويجدر بالذكر ان اغلب

التبرعات الاميركية لليهود كانت تخصص في ذاك الحين للجامعة العبرية .

وكذلك كان الحال مع الدكتور يهودا ماغنز وألبرت انشتاين والقاضي لويس براندیس، الذين وجهوا جهودهم نحو فلسطين؛ ولكنهم حصروا هذه الجهود في تدعيم الجامعة العبرية والعمل على ازدهارها، في حين انهم عارضوا بقوة كل محاولة لصبغ اليهودية بطابع سياسي.

وقد قيل ان القاضي براندیس ، كان بقدر ما يعمل على استيطان اليهود في فلسطين ، يعارض فكرة قيام دولة يهودية في الارض المقدسة . كان من رأيه انه طالما ان بريطانيا قد ضمنت وعد بلفور ، وطالما ان النهضة الثقافية اليهودية آخذة بالنمو والازدهار ، فلم يعد من حاجة للحركة الصهيونية السياسية .

ومن جراء هذا الرأي الجريء كسب براندیس عداوة وايزمن. وقد اتسعت شقة الخلاف بين الرجلين ، عندما سعى وايزمن للحصول على مساعدة مالية من الولايات المتحدة لتعزيز موازنة الحركة الصهيونية ، فاعلن براندیس ان مبلغ نصف مليون دولار هو اقصى ما يمكن الحصول عليه للصهيونيين من الولايات المتحدة. بينما كان وايزمن يأمل الحصول على مليوني دولار . وقد ظل براندیس يناهض نشاط منظمه الصهيونية العالمية واهدافها حتى النهاية. وعلى الرغم من احتجاج براندیس الصارخ، تألفت في الولايات المتحدة عام ١٩٢١ منظمة لجمع القروض لفلسطين باسم مؤسسة وايزمن .

وفي عام ١٩٤٩ ، لخص احد انصار الصهيونية الخلاف القديم

بين وايزمن وبراندیس بقوله :

« ان وجهة نظر براندیس جردت الصهيونية من وطنيتها التي يتعطش لها عدد كبير من اليهود.. واراد ان يعيد بناء فلسطين لاولئك اليهود الذين يحتاجون الى وطن هادىء وبسيط. ليكون لهم صهيون بلا صهيونيين .! »

وعلى الرغم من آرائه الجريئة ومناهضته للحركة الصهيونية وزعمائها ، فقد استخدمت الدعايات الصهيونية اسم براندیس فيما بعد ، فاطلقت اسمه على احد المخيمات اليهودية قرب هانكوك في نيويورك حيث يعيش فيه خليط من الشبان والشابات اليهوديات، يتدربون وينشدون نشيد الصهيونية في كل صباح وهم يحيون العلم اليهودي . ومع ذلك لم يرتفع صوت بالاحتجاج من اسرة براندیس او اصدقائه على تعليم فريق من الناشئة الاميركيين الاخلاص لراية اجنبية .

وعند وفاة حاييم وايزمن في ٩ تشرين الثاني ١٩٥٢ ، اتصل رئيس الحكومة الاسرائيلية بن غوريون بالسفير الاسرائيلي بواشنطن وطلب اليه ان يعرض على البرت انشتاين منصب رئاسة الجمهورية لدولة اسرائيل ، وينال منه وعداً بالقبول في حال انتخابه رئيساً للدولة ..

وفي هذا الوقت ، رشحت صحيفة « ماغريف » اليهودية بتل ابيب ، العلامة انشتاين للرئاسة وراحت تؤكد ترحيب العلامة بهذا المنصب معلقة على ذلك بقولها : « ان انشتاين هو منا ولنا... وليس لجامعة برنستون.. »

ولكن مجرد دراسة بسيطة لنزعة انشتاين وعاطفته تجـــاه اسرائيل ، تظهر لنا بوضوح ان العلامة الكبير لا ينتمي لاسرائيل كما ادعت الصحيفة اليهودية ، وانما كان اهتمامه منصباً منذ البداية في انعاش الجامعة العبرية بالقدس وقد حدث إبان الصراع العنيف بين وايزمن وبراندیس ، ان وقف انشتاين الى جانب براندیس، وأيد موقفه في مناهضة الحركة الصهيونية واهدافها المتطرفـــة ، وظل دوماً يحصر اهتمامه في مساعدة الجامعة العبرية من الوجهة العلمية ، حريصاً على عدم الانغماس في المشاكل السياسية .

وعندما مثل انشتاين امام لجنة التحقيق الاميركية البريطانية عام ١٩٤٦ ، اجاب على سؤال وجهه اليه احد الاعضاء ، عما اذا كان من الضروري انشاء دولة يهودية لحـــل قضية اللاجئين اليهود فقال :

« ان فكرة انشاء دولة لا تلاقي هوى في نفسي ، اذ اني لا افهم الحاجة الى قيام هذه الدولة .. واقول انها وليدة فكرة نبتت في رؤوس فريق من اليهود اصحاب العقول الضيقـــة .. ثم ان الصعوبات الاقتصادية كفيلة بان تقضي عليها .. ولذا ، اعتقد انه من الخطأ التفكير بانشاء مثل هذه الدولة .. وقد كنت وما زلت ضدها ... »

وفي عـــام ١٩٤٨ ، وقف العلامة الكبير يؤيد وجهة نظر الدكتور ماغنز علناً ، الرامية الى انشاء دولة اتحادية في فلسطين تتألف من العرب واليهود عـــلى السواء .. كما هاجم الارهابيين الصهيونيين بشدة . وقد بعث برسالة الى صحيفة «نيويورك تايمس»

ايّد فيهـــا فكرة الدكتور ماغنز طالباً من اليهود العمل لتحقيقها ..

وفي ربيع عام ١٩٥٢ وجه انشتاين رسالة الى مؤسسة اطفال فلسطين قال فيها « لقد اصبح من الضروري كبح جماح الوطنية المتطرفة التي برزت في اسرائيل، حتى يعيش الجميع هناك في صداقة ووئام مع العرب ... »

ويبدو ان هذا المقطع من رسالة انشتاين لم يرق لسكرتيرة المؤسسة او ليفيا تيرل اذ حذفته من اساسه عندما وزعت الرسالة على الصحافة الاميركية لنشرها ..

وبسبب هذه الرقابة الصهيونية الحمقاء ، التي سمحت لنفسها ان تشوه رسالة انسانية ، فقـــد قصدتُ جامعة برنستون وابديتُ لانشتاين وجهة نظري بصراحة ، وكان جوابـه لي ، انه يستنكر هـذا التدبير ، وقال انه ما كان يوماً من الايام صهيونياً او من مؤيدي قيام دولة اسرائيل.

وبهذه المناسبة اطلعني انشتاين على محادثة جرت بينه وبين وايزمن وكان ذلك قبل قيام اسرائيل. فقد طرح انشتاين السؤال التالي :

ـ ماذا سيكون موقف العرب اذا أُعطيت فلسطين لليهود..؟

فاجابه وايزمن :

ـ من هم هؤلاء العرب الذين تتحدث عنهم ..؟ فليس لهم أدنى اهمية ..! »

وقد اوضح انشتاين موقفه الصريح من الصهيونية واسرائيل في مقال كتبه عام ١٩٥٠ وقال فيه :

« لقد كنت افضل قيام تفاهم ودي مخلص بين العرب واليهود ليعيشوا بفلسطين في جو من الاخوة والوئام ، عوضاً عن انشاء دولة يهودية.. وناهيك عن الاعتبارات العملية.. فاني اعلم ان طبيعة الديانة اليهودية تقاوم انشاء دولة يهودية بحدود وجيش ، لان ذلك يعود عليها بالاضرار الجسيمة ويجعلها عرضة للمقاومة والانحلال.. »

وقد كتب البروفسور فيليب فرانك مشيراً الى رفض انشتاين منصب رئاسة الجمهورية لدولة اسرائيل فقال : « لقد رفض انشتاين بطريقة مهذبة منصب رئاسة الجمهورية الاسرائيلية بحجة انه لا يتمتع بالكفاءات التي تؤهله لتسيير شؤون الدولة السياسية .. »

ومع ان رفضه لهذا المنصب ، قد اعتبر في الاوساط السياسية النيويوركية صدمة لاسرائيل.. الا ان الصهيونية ما زالت تستخدم اسم انشتاين في تقوية معنوية اسرائيل وزيادة رأسمالها السياسي في العالم .

وهناك مغزى رمزي تضمنته المصادفة ..

فقد كان منشىء الصهيونية الحديثة حاييم وايزمن كيماويا . وكانت سياسته مزيجاً مركباً من اغرب العناصر التي يصعب التوفيق بينها . كانت تحوي عناصر من اليهود المتطرفين واخرى من اليهود المترددين الخائفين .. يضاف اليها يقظة ضمير العالم المسيحي الذي اراد التعويض على يهود اوروبا المشردين وحاجة الفقراء من اليهود للعيش في بيئة واحدة . ثم سخاء اميركا الحاتمي وحماسة اليهود الدينية ، وشهوة الحكم والسيطرة عند الملحدين منهم . كل هذه العناصر المتنافرة تمكن وايزمن من جمعها في بوتقه واحدة

واسبغ عليها طابع الانسانية ليحميها من اي مقاومة او انتقاد خارجيين .

ولولا هذه العوامل المتعددة والمتضاربة لما تمكنت الصهيونية من ان تتمركز في فلسطين بهذه السهولة .. ناهيك عن المساعدات القيمة التي قدمتها لها السياسة الانكلوساكسونية المسيحية (امثال بالفور ولويد جورج وتشرشل) . لقد كان الدافع لتلك المساعدة هو احترام الانكلوساكسون لتعاليم التوراة ، يضاف اليها نفوذ بعض الاسر اليهودية غير الصهيونية في العالم الغربي امثال ببوتات مونتيفيوري وروتشيلد وتشيف ووارنبرغ وروزنوالد ومارشال وليهمان ومورغنتاو . والغريب ان هذه الاسر كانت لسنوات خلت تكره الصهيونية واساليبها الملتوية .

مثال على ذلك الخطاب الذي القاه رئيس القضاة ارفين ليهمان ، شقيق الشيخ الاميركي هربرت ليهمان ، في عام ١٩١٧ في حفل كبير ضم عدداً من زعماء اليهود فقد رحب بموقف الحكومة البريطانية في فلسطين ثم قال : «انني اتوجه الى الصهيونيين المتحمسين — وقد يكون بعضكم منهم — فأقول بانكم توافقونني على رأيي بانه لا يمكننا سياسياً الا ان نؤلف جزءاً من امة واحدة ، وهذه الأمة هي اميركا . ويجب ان لا يعيش اليهود هنا — اي في اميركا كمجموعة منكمشة على نفسها ، وانما عليهم ان يحافظوا على تقاليدهم القديمة وطقوسهم الدينية الصحيحة ويوفقوا بينها وبين الثقافة الاميركية» .

الى ان قال : « لا يسعني ان اتصور لحظة واحدة ان بامكان اليهود ان ينشئوا امة بكل ما لهذه الكلمة من معنى . فنحن اليهود في

اميركا تربطنا بيهود العالم رابطة المعتقد الواحد التي يتألف منها ارثنا الديني المشترك . ولا يمكننا ان نرتبط بهم بروابط وطنية وكأننا واياهم نؤلف امة واحدة. فنحن نحمل الجنسية الاميركية، وسنظل اميركيين واميركيين فقط، دون ان يربطنا بهم سياسياً أو مدنياً اي رباط آخر . ولهذا فمن واجبنا ان نسعى لحفظ تراثنا الديني ضمن هذه الحدود . »

اما هنري مورغنتاو الكبير فقد كتب في مذكراته الخاصة يقول :

« ان الصهيونية اكبر خدعة في تاريخ اليهودية ، لانها تقوم على مجموعة من الاخطاء والاسس الفاسدة . فهي مستحيلة التحقيق ولا ترتكز على اسس اقتصادية او سياسية متينة، فضلاً عن انعـــدام المثل الدينية فيها . »

والجدير بالذكر ان معظم هؤلاء الاثرياء الكبار من اليهود امثال جاكوب تشيف وجوليوس روزنوالد وفليكسي وارنبرغ وهنري مورغنتاو وقفوا من الحركة الصهيونية في بدء عهدها موقفا معارضاً دون تحفظ . وهؤلاء الاشخاص لم يكونوا غير صهيونيين فحسب وانما كانوا من اعداء الحركة الوطنية اليهودية التي كانت تهدف الى انشاء امـة يهودية ووطن يهودي . وكم يكون اسفهم وحزنهم كبيرين لو عادوا الآن الى هـــذا العالم وشاهدوا الذين ورثوا ثرواتهم الضخمة واسمـائهم الـكبيرة ، مخدوعين تسخّرهم الصهيونية لمصالحها واهدافها .

والفضل الاكبر في استمالة معظم اثرياء اليهود في اميركا وبريطانيا

انما يعود الى حاييم وايزمن نفسه فقد استخدم مع هؤلاء الاشخاص جميع الوسائل والطرق ، تارة تحت ستار مساعدة الجامعة العبرية بالقدس ، وطوراً تحت ستار احياء الثقافة والتعاليم اليهودية الصحيحة ؛ واخيراً باسم المبادىء الانسانية لاغاثة المضطهدين والمشردين اليهود في اوروبا .

ويعترف وايزمن بالعبء الثقيل الذي ألقي على عاتقه والصعوبات الجسيمة التي اعترضت سبيله في مهمته. فهو لكي يقنع اثرياء اليهود بامكانية انشاء دولة يهودية في فلسطين، كان يوهم كل واحد منهم ان التبرعات المالية تنهال عليه بالملايين من اليهود في اميركا وفي خارجها .. وان هذه الاموال الطائلة كفيلة باجتراح العجائب .

وفي اجتماع بين وايزمن ولويس مارشال احد اغنياء اليهود المعارضين للصهيونية ، قال مارشال : « انه من الضروري، قبل التفكير بانشاء دولة يهودية في فلسطين ، تأمين مبلغ نصف بليون دولار لتعمير البلاد ودعم اقتصاديات الدولة الناشئة كيما تتمكن من العيش ».

فرد عليه وايزمن : « قد نحتاج الى مبلغ اكبر مما ذكرت .. والاموال المطلوبة موجودة في جيوب اليهود الاميركيين ولذا فان من واجبك وواجبي ان نساهم معا في تغطية هذا المبلغ » .

وفي عام ١٩٢٩ تقرر توسيع الوكالة اليهودية المعترف بها رسمياً من قبل سلطات الانتداب، لكي تضم ممثلين عن يهود اميركا الذين اظهروا حماسة بالغة في مساعدة اخوانهم في الدين ، وبذل المساعي لرعاية مصالحهم سواء في فلسطين او في غيرها من بلدان العالم .

وعندها اتجهت انظار زعماء الصهيونية الى هذه الوكالة لاستغلال نفوذها والتغلغل بواسطتها في الاوساط اليهودية بوصفها الهيئة المعترف بها رسمياً للتحدث باسم يهود فلسطين .

ولما كانت الوكالة تضم عدداً من الاعضاء البارزين المعروفين بمعارضتهم للحركة الصهيونية فقد عمد زعماء الصهيونية الى شن حملة عنيفة ضدهؤلاء الاعضاء اسفرت عن استقالتهم . ونجحت الصهيونية في مناورتها اذ تمّ اختيار الاعضاء الجدد من انصارها، وهكذا سيطر الصهيونيون على الوكالة اليهودية وراحوا يسيّرونها حسب اهوائهم .

وقد استخدم قادة الصهيونية هذه الطريقة نفسها للسيطرة على عدد من المنظمات والهيئات اليهودية التي كانت لا تؤيد الصهيونية . وفي كل مرة كانت تنجح في فرض نفوذها على احدى هذه المنظمات كانت تعمد حالاً الى حلها وازالتها من الوجود . وقـــد كانت الجمعية الاميركية اليهودية اصلب المنظمات التي وقفت في وجه الصهيونية وقاومت محاولاتها للسيطرة على جميع الهيئات اليهودية . ففي مؤتمر الجمعيـــة السنوي بسان فرانسسكو وقف رئيسها القاضي جوزيف بروسكاور ينتقد الصهيونية لانها تمهـــد الطريق لاقامة دولة يهودية وتعريض يهود العالم للخطر .

وعلى الرغم من المعارضة الشديدة التي اظهرها اعضاء الجمعية فقد تلاشت هذه المعارضة مع الزمن واصبح معظم الاعضاء من اشد المتحمسين لتعزيز الوطنية اليهودية منذ ان قامت دولة اسرائيل .

وتجدر الاشارة هنا الى ان هذه الجمعية لعبت دوراً رئيسياً في حياة اسرائيل بما قدمته من مساعدات مادية ومعنويـة في احرج

ايام الصهيونية ، لا سيما في شهر تشرين الثاني عـــام ١٩٤٧ عندما كان زعماء الصهيونية وانصارها يبذلون جهود الجبابرة والاموال لتأمين ثلثي الاصوات المطلوبة لاقرار التقسيم . وقـد استمرت جهودها فيما بعد لاقرار الاستقرار والحياة لاسرائيل اذ راحت تنشر المقالات المتعددة تبرر فيه موقف اسرائيل من اللاجئين العرب وتدويل القدس . كما سخّرت محطات الاذاعـــة والتلفزيون في دعاياتها الواسعة .

ففي حديث امـام رجال الصحافة اليهودية دعـــا جاكوب بلاوشتاين الى تأييد اسرائيل ومساعدتها فقال : « ان مـن واجب اليهود الاميركيين بذل كل ما في وسعهم لتأمين بقاء دولة اسرائيل ، لان انهيار هذه الدولة الناشئة معناه انهيار معنويات يهود اميركا . »

.. وهكذا كتب النجاح لفكرة وايزمن وتمكنت الصهيونية من مد جذورها المتفرعة في طول الولايات المتحدة وعرضها بفضل تفكك عرى اليهودية الاميركية واختلاف وجهات نظرها . ولمـا كان العضو المتحمس في كل حزب لا يخدم حزبه بقدر ما يخدمـه العضو المتقلب ، اذ انه يحوّل معارضته السابقة وشكوكه الى ناحية ايجابية ، فقد كان يهود اميركا غير الصهيونيين في طليعـــة الذين ادّوا خدمات جلّى للصهيونية .

الفصل العاشر

الأسرائيلية
هل هي ديانة جديدة..؟

*

لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان معظم يهود العالم يلمّون إلماماً بسيطاً بالتعاليم الصحيحة لديانتهم... اليهودية.

وفي اليهودية، ارث تناقلته الاجيال خلفاً عن السلف، وحفظه كل يهودي عن ظهر قلب دون ان يعرف معناه او مغزاه.. وهذا الارث، رسّخ في ذهن اليهودي منذ الصغر الفكرة القائلة: «بانك مختلف عن سائر البشر.. فانت يهودي.. ومن واجبك ان تساعد اخوانك اليهود..»

وهذه الفكرة، عبارة عن شعور ايجابي يتعلمه اليهودي منذ الطفولة بالغريزة، وينمو معه مع نموه.. فيصبح عندها الشاب اليهودي مستعداً لتقبل فكرة الوطنية عن طريق الدين.. وتنغرس جذورها في اعماق قلبه..

وهكذا يستبقي العقل الباطن، حتى بعد ان يبلغ الشاب سن الرشد،

جميع المتناقضات التي كانت قد غرست في نفسه وهو صبي دون ان يميّز بين الصالح والطالح منها ..

ولقد لمس زعماء الصهيونية تأثير هذه التربية على عقلية النشء اليهودي ، فحرصوا كل الحرص على تلقين هـذا النشء، وهو في بيئته وبين اهله ، هذه التعاليم ليتقبلها فيما بعد كحقيقة غير قابلة للجدل او التعديل .

واستناداً الى هذه الحقيقة وضعت الصهيونية برنامجها التربوي ، الذي اوضحه بعبارات مختصرة لويس فولك نائب رئيس المنظمة الصهيونية في اميركا اذ قال :

« علينا ان ننشر تعاليمنا ونشاطنا التربوي بين النشء اليهودي الجديد .. ونقوّي حركة الشبيبة وننشر بينها التربية العبرية، وندعم المؤسسات الثقافية التي تستمد تعاليمها من اهدافنا ، وكذلك علينا ان نرعى مخيمات الصيف الصهيونية ونعمل على زيادتها ، ونشرف عليها اشرافاً تاماً ، لننشيء جيلاً يهودياً متشبعاً بروحنا وتعاليمنا الصرفة » .

ولقد اعتمدت الصهيونية في بث تعاليمها ودعاياتها بين الشبان والشابات اليهود على مخيمات الصيف ، بعد ان لمست ما اعطته هذه المخيمات من نتائج باهرة. فكان رؤساء هذه المخيمات المنتشرة في الولايات المتحدة ، يطبقون برنامجاً معيناً وضعه كبار علماء الصهيونية ، وتولت تنفيذه لجنة الشبيبة الصهيونية.. كما قام الشبان والشابات المشتركون في هذه المخيمات بتوزيع نشرات دورية تحثّ الشبيبة اليهودية على التفاني في خدمة دولة اسرائيل والاخلاص لها

ومساعدتها ، كما توجههم الى ان ينظروا الى اسرائيل وكأنها الامل المنشود لكل يهودي فضلاً عن ان هذه النشرات تبين الاعمال العمرانية ومظاهر الرقي الذي تتميز به الدولة الناشئة ، لا سيما الجهود المبذولة لتحسين المستعمرات اليهودية العديدة وجعلها في مستوى ارقى القرى النموذجية في العالم. وعن هذا الطريق يتعرف اليهودي الى اسرائيل وصناعتها وزراعتها ووضعها السياسي والعسكري .

اما الفتيان والفتيات الذين تتراوح اعمارهم بين الخامسة والثامنة ، فكانت الصهيونية تلجأ الى طريقة مبتكرة في طبعهم بثقافتها ، فكانت ادارة المخيمات تطلب اليهم رسم بعض المناظر الطبيعية في اسرائيل بواسطة الاقلام الملونة. وجميع العاب التسلية التي كانت تقدم الى هؤلاء الفتية الصغار تدور حول اسرائيل ورجالاتها البارزين ، فاوراق اللعب تحمل رسوماً لابرز قادة الصهيونية وبعض المناظر التاريخية في اسرائيل ..

اما الشبان والشابات ، الذين تزيد اعمارهم على الرابعة عشرة ، فقد نظمت لهم محاورات خاصة واناشيد يهودية تتضمن امجاد اليهود ، وجهود زعماء الصهيونية في سبيل انشاء اسرائيل وازدهارها .. كما كانت تقيم احتفالات وطنية لاحياء ذكرى ابطال الصهيونية امثال هرتسل وويزمن وغيرهما .. وكانت ادارة المخيمات تقدم لهم الكتب والمجلات عن اسرائيل مجاناً .. وبالاضافة الى ذلك كانت تقيم حلقات الرقص والموسيقى تعرض خلالها افلاماً سينمائية ومن بينها افلام قصيرة عن اسرائيل تحمل عناوين طنانة

مثل : « الوطن المقبل .. ارض الميعاد .. واسرائيل تعمل .. واذا نسيتك يا اسرائيل .. »

وجميع هذه المغريات كانت تستهدف تقوية النزعة الوطنية في نفوس النشء الجديد ..

اما اللجنة الاميركية الصهيونيه التي تشرف على تنفيذ هذه البرامج في المخيمات فكانت تضم مؤسستين هما : المنظمة الصهيونية لاميركا ومنظمة هداسا .

ولقد ساهم الوف من النساء والرجال اليهود في انحاء البلاد ، في تقديم المساعدات المالية الضخمة الى المؤسسة الاخيرة ، ظناً منهم ان عملها انساني بحت لا يمت الى السياسة بصلة ، وانهم اذ يفعلون ذلك ، انما يمدون يد المساعدة لفريق من اخوانهم اليهود المعذبين في خارج الولايات المتحدة ، وقليل منهم من كان يدرك ان هذه التبرعات انما تنفق على تلقين ابنائهم تعاليم الوطنية اليهودية .

والى جانب ذلك ، كان هناك حركة اخرى ، هي الحركة المعروفة باسم « هالوتسيوت » . وكانت تعمل على حث الشبان الاميركيين البالغين الثامنة عشرة على زيارة اسرائيـــل لبضعة اشهر للتعرف على احوالها .

وبعد ان سيطر قادة الصهيونية على المنظمة اليهودية المتحدة ، انهالت ملايين الدولارات عليها وراحت المؤسسة تستخدمها على وسائل الدعاية للوطنية اليهودية ، وبفعل هـــذه الملايين استطاع الصهيونيون ، بدعاياتهم المـــاكرة ، استدرار عطف الاميركيين عن طريق المبادىء الانسانية ، اذ كانت جميع نشرات الدعاية ترمي

الى جعل القارىء يشعر بانه جزء من اسرائيل يشاطرهـا آلامها وآمالهـــا ..

مثلاً كانت هذه النشرات تتضمن العبارات التالية : « ساهموا في تدعيم اقتصاديات اسرائيل وانعاش الحياة الديمقراطية فيها . »

وفي الولايات المتحدة ، وفي نيويورك وواشنطن خاصة ، عدة مؤسسات ومنظمات صهيونية تجمع التبرعات لتمول المدارس التي تتولى تثقيف النشء اليهودي ثقافة يهودية صرفة ، وتعتبر المنظمة اليهودية المتحدة اكثر هذه المؤسسات نفوذاً واغناها ، فهي التي تقوم بتمويل المنظمة الصهيونية العالمية ،بما فيها الوكالة اليهودية التي يعود اليها الفضل الاكبر في قيام دولة اسرائيل .

والجدير بالذكر ان قسماً كبيراً من هذه التبرعات والقروض التي تجمعهاتلك المؤسسات الصهيونية تذهب رأساً الى خزينة الدولة الاسرائيلية لانعاشها اقتصادياً . ولا يسهى عن البال ان جزءاً كبيراً من التبرعات يساهم بدفعها فريق من المسيحيين الاميركيين دون ان يعلموا ان بعض هذه المبالغ تنفق لتقوية بعض المنظمات اليهودية التي تشجع العنصرية ..

ولم تكتفِ الصهيونية بكل ذلك .. فقد استخدمت الشعائر الدينية لرفع معنويات الدولة الجديدة ،باعتبارها ممثلة اليهودية العالمية ، فقد اعلنت المنظمة الصهيونية لاميركا ، ان السنة اليهودية الجديدة تبدأ عام ١٩٥٢ ، واطلقت عليها اسم « سنة اورشليم » وذلـــك لانتقال عاصمة اسرائيل من تل ابيب الى القدس ، كما حاولت بعض المنظمات الصهيونية اقناع رؤساء البلديات في الولايات المتحدة

اطلاق اسم اورشليم على بعض الشوارع ..

وفي عيد الفصح عند اليهود في عام ١٩٥٢ ، اصدرت المنظمة الصهيونية المتحدة نشرات للدعاية توجتها بعناوين مثيرة مثل :

« لماذا يختلف هذا اليوم عن غيره من الايام .. » وغيرها من نشرات الدعاية الواسعة التي قام بها الصهيونيون للمبالغة في اظهار تعلق اليهود بدولة اسرائيل ..

ومن المعروف ان اية دولة من دول العالم ، عندما تواجه ازمة اقتصادية حادة ، تحاول الحصول على قروض مالية من دولة اخرى او من البنك الدولي ؛ وفي بعض الحالات تعرض سندات القروض للبيع ليشتريها من يشاء من الخارج. وهذه السندات هي بمثابة ضمانات للمبالغ التي يتم دفعها ، والعادة ان المصارف المالية والاخصائيين في التجارة والاقتصاد هم الذين يساهمون في تغطية مثل هذه السندات..

ولكن سندات القروض التي طرحتها اسرائيل في الاسواق الاميركية ، لم يتقدم لشرائها رجال المصارف ، او اصحاب المؤسسات التجارية والاقتصادية، بل اقتصر بيعها على فئات معينة من اثرياء الاميركيين اليهود، بدافع المسؤولية لانقاذ الشعب اليهودي.

ولكي يبدد اليعازر كابلان وزير مالية اسرائيل جميع الشكوك المحتمل اثارتها حول وضع اسرائيل المالي ، ولكي يدعم مركزها المالي ، صرح في الكنيست (البرلمان اليهودي) بان وضع اسرائيل المالي يختلف تمام الاختلاف عن وضع سائر الدول الاخرى التي طرحت سنداتها للبيع في الاسواق الاميركية دون

ان تحصل على النتيجة المرجوة ، وذلك لان اسرائيل حصلت على نتيجة مرضية جداً .

وعزا الوزير الاسرائيلي هذا النجاح الى ان في اميركا وحدها حوالي خمسة ملايين يهودي يعتبرون ان مصيرهم مرتبـــط كل الارتباط بمصير اسرائيل ، والى هؤلاء يعود الفضل الاكبر في نجاح بيع السندات المالية الاسرائيلية .

ومما يذكر ان هنري مورغنتاو افتتح حملة بيع السندات برسالة وجهها الى الرأي العام في ١١ كانون الثـــاني ١٩٥١ قال فيها :

«لقد برهن المساهمون بشراءهذه السندات عن وطنية عقـــة كأميركيين . اما كيهود فقد اعتبرت تجربة عرض هذه السندات ناجحة ومفيدة لحكومة اسرائيل ... »

وقد يتساءل المرء الآن بأدب كلي ، متى كانت خدمة دولة اجنبية والتفاني في مساعدتها يعتبر عملاً وطنياً وواجباً اميركياً ..؟!

على كل حال ان الدعاية الصهيونية قد صبَّت جلّ اهتمامها ونشاطها في مناشدة يهود اميركا والعالم لمساعدة اسرائيل مالياً ، فنظمت عدة حملات من الدعاية الواسعة تناشد فيها اليهود ان يتبرعوا لهـــا ، ويشتروا سندات القروض الاسرائيلية ، وكانت هذه الدعاية تبرز على اشدها في الاعياد والمناسبات الدينية ، لتستغل عطف اليهود الديني ، وتذكّرهم باسرائيل وضرورة مساعدتها اقتصادياً لتتمكن من النهوض والانتعاش .

ومن ايام الاعيـــاد التي قامت الصهيونية باستغلالها عيدي

« روش هاشنوح ويوم كيبور » اذ كانت تحشد قواهـــا لبيع سندات القروض الاسرائيلية وجمع التبرعات ، مستعينة برجال الدين اليهود الذين كانوا يحثون على ذلك في اثناء الصلاة ، وفي المعابد ... حتى ان رئيس حاخامي اسرائيل « حلفي هرتسوك » بعث برسالة الى حاخامي الولايات المتحدة يدعوهم فيها للدعوة لاسرائيل اثناء مواعظهم الدينية ، وقد علق رئيس منظمة مزراحي (الحزب الاميركي الصهيوني الديني) على هـــذه الرسالة بقوله : « انها رسالة لها معنى كبير بالنسبة للصهيونية » وقال حاخام آخر معلقاً على نفس الرسالة : « ان من واجب كل يهودي ان يساهم بشراء هذه السندات . »

وهكذا كانت الصهيونية تستخدم الدين والمعابد لحمل اليهود المؤمنين على شراء هذه القروض التي لا تساوي شيئاً من الوجهة المالية . وكذلك فقـــد تضافرت جهود المنظمات والمؤسسات الصهيونية والاندية الرياضية اليهودية لبيع هذه السندات والترويج لها . وكان من العسير على معظم يهود اميركا ان يقاوموا وسائل الدعاية واساليب الضغط والاكراه التي استخدمت للترويج لهذه السندات ، خشية ان يتهموا « بالخيانة . »

وفي احتفال خاص ، اقيم ليلة ٣٠ نيسان ١٩٥٢ بمناسبة مرور اربع سنوات على قيام اسرائيل ، احتشد حوالي ٣٢ الف شخص في مدرج بروكلن وراحوا يستمعون الى الخطب التي كان يلقيها كل من هنري مورغنتاو والسيدة روزفلت ومايرسون والحاخام غولد شتاين ودوف جوزف ، وكانت جميعهـــا تدعو لمؤازرة

اسرائيـــل كيما تتمكن من الصمود .. وفي هذه الاحتفالات تسنح فرص كثيرة للحصول على مكتتبين جـــدد لسندات اسرائيل .

وقد اقيمت احتفالات مماثلة في اغلب المدن الاميركية ، وللغاية نفسها ، حتى انه في ولاية تكساس ، الولاية المحافظـة على تقاليدها الاميركية ، جرى احتفـال كبير في دار بلدية سان انطونيو ، روجت له الطائفة اليهودية هناك ، وكان ناجحاً جـداً لا يقل روعة وحماسة عن يوم « عيد الاستقلال » الاميركي .

وقـــد كان تيودور ماكلدن حاكم ولاية ماريلند في طليعة الشخصيات البارزة التي روجت لحملة شراء السندات الاسرائيلية ، فقد كتب يقول : « ان شراء هذه السندات لا يعني اي اخلاص او ولاء لاسرائيل .. لان هذا العمل لا يخرج عن كونه مساعدة يجود بها يهود اميركا بدافع الدين الى دولة اسرائيل ؛ وهـــذا العمل هو كشراء اي مواطن اميركي آخر سندات بريطانية او ارجنتينية او اي سندات مالية اجنبية » .

ومع ذلك لم يكتف زعماء الصهيونية وانصارها الاميركيون ببيع سندات القروض ، وتقديم المساعدات الماليـــة والمعنوية للدولة الجديدة ، بل كانوا يشتركون في سياسات اميركا الداخلية كمجموعة يهودية لها وزنها ، وذلك لخلق جو ملائم في اوساط الرأي العام الاميركي ، من اجل مضاعفة المساعدات الاميركية الحكومية المالية والسياسية لاسرائيل .

وقد ابرق رئيس المنظمة الصهيونية لاميركا ذات مرة الى بن

غوريون يقول له « ان اليهودية الاميركية قد استفاقت للخطر ، واعدت لكل شيء عدته ، وان المنظمات الصهيونية في اميركا بامكانها الآن ان تحرك الرأي العام الاميركي ، ليبادر الى معونة اسرائيل ، بان يضغط على ادارة البيت الابيض او غيرها من الدوائر الرسمية الاميركية ، مستخدما نفس الوسائل والاساليب الناجحة التي استعملها في عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ والتي بدونها لما قامت اسرائيل . . »

هذا ولم تقتصر الجهود على المنظمات الصهيونية الموجودة في اميركا وحدها . . بل ان عدداً من وزراء اسرائيل وكبار موظفيها جاءوا خصيصاً الى الولايات المتحدة لجمع التبرعات وحض اليهود وغير اليهود على المساهمة في شراء السندات الاسرائيلية . .

وهناك ظاهرة فريدة تجمع ما بين يهود الولايات المتحـــدة واسرائيل على صعيد واحد . .

وهي ان كل حزب سيـــاسي في اسرائيل له فرع آخر في الولايات المتحدة . . ومن هذه الاحزاب والمنظمات الموجودة في اميركا ، المنظمة الصهيونية لاميركا ، ومزراحي ، وحزب العمال الصهيوني ، وحزب التقدميين اليساريين . . يقابلها في اسرائيل : منظمة الصهيونية العالمية ، ومزراحي ، والماباي والهيروت والمابام .

وفي مؤتمر الصهيونية العالمي ، تتعاون هذه الاحزاب مع فروعها في اسرائيل تعاوناً وثيقاً وكأنها حزب واحد . .

وفي مـــدينة نيويورك يمكن للمرء ان يلاحظ بسهولة نفوذ الصهيونية وانتشار دعاياتها ، حتى في الشوارع الصغيرة . وتحمل هذه الدعايات طابعاً وطنياً يهودياً صرفاً . . مثالاً على ذلك ، ان المرء

يمكنه ان يلاحظ في نهاية الشارع الخامس قرب نادي كولمبوس ، لافتة كبيرة كتبت عليها العبارة التالية : « ساعدوا المنظمة اليهودية المتحدة .. » كما يرى في الجهة المقابلة لوحة اخرى كتب عليها : « اشتروا سندات القروض الاسرائيلية .. » وهذه اللوحات منتشرة بكثرة في كل مكان ، ومنها ما هو مضاء بالنيون وترسل اضواءها الزاهية طوال الليل من دون انقطاع ..

والصحافة المحلية نفسها ما كانت تخلو من اخبار عن حملات التبرعات لاسرائيل ، ونجاح حملة بيع سندات القروض ، وقصص اخرى عن المشاريع العمرانية في اسرائيل ، وانشاء المستعمرات الجديدة في المناطق الصحراوية بفلسطين .. وعن مشاريع السنوات الخمس التي اعتمدها المجلس الصهيوني لانعاش اسرائيل اقتصاديا . وكانت تنشر الى جانب ذلك ، تقارير رسمية صادرة عن وزارة الخارجية الاسرائيلية عن رغبة اسرائيل الاكيدة في مفاوضة الدول العربية ، ثم اعلان كبير في صفحة بارزة يحث القراء على شراء سندات اسرائيل ..

وقد احصي عدد الصفحات بجريدة « نيويورك تايمس » التي خصصت لاسرائيل في الاعوام ٤٧ و٤٨ و١٩٤٩ . فتبين ان عددها يفوق عدد الصفحات التي خصصت لانكلترا او فرنسا ..

والانكى من كل ذلك ، ان الصحافة والاذاعات الاميركية لا تفرق بين كلمة يهودي ، وكلمة اسرائيلي ، وبين اليهودية والصهيونية ، اي انها بعبارة اوضح لا تفرق بين الدين

والدولة . فيتحدثون عن الدولة اليهودية والعلم اليهودي ورئيس الحكومة اليهودية و . . .

وقد استمرت الصحافة الاميركية ترتكب هذا الخطأ الفادح، بناء على تعليمات وتوجيهات قادة الصهيونية انفسهم ، ليظهروا ان الشعب اليهودي مرتبط ارتباطاً وثيقاً باسرائيل ، وان انظاره تتجه اليها لمساعدتها عند اول ازمة تتخبط فيها . .

وفي كل سنة كان زعماء الصهيونية يرددون نفس النغمة التي رددوها في السنين السابقة وهي : « هذه سنة الازمات في اسرائيل » حتى غدت هذه النغمة مألوفة عند الاميركيين لكثرة ماسمعوها . .

وقد حدث في حفلة افتتاح « متروبوليتان اوبرا » ان وقف رئيس القسم الاميركي التابع للوكالة اليهودية يقول بصراحة متناهية : « ان حملات الدعاية المضللة وهي وسيلة خطرة في الدعاية لا تعطي نتيجة مجدية . . ولهذا فاني اصارحكم بالحقيقة المجردة ، وهي ان اسرائيل تحتاج الى مزيد من المساعدات لمدة سنين وسنين . . »

كما كتب وليم زوكرمان رئيس تحرير صحيفة « جويش نيوزلتر » يصف وضع يهود اميركا « وحملاتهم اليهودية » فقال . « لقد تجردت هذه الحملات من الاهداف الدينية السامية واقتصرت فقط على جمع الاموال مستخدمة شتى الوسائل . . فهل يمكن لمثل هذه الجماعة ، ان تكون مصدراً للنبل والعظمة . . ؟ »

والخلاصة . . ان المغزى الرئيسي لهذه التصرفات ينحصر في ان يهود اميركا نزعوا من افئدتهم ، في السنين العشر الاخيرة ،

الايمان الصحيح بيهوه، إلـه اليهودية ، واستبدلوه ببدعة عبـــادة « الوطنية المادية » ، تلك البدعـــة التي استنبطتها عقول ساسة الصهيونية .

ومع ان الوصية الاولى من وصايا الله العشر تفرض على كل يهودي : « ان لا يتخذ من دون الله بديلًا . . »فان اليهوديعبدون اليوم اسرائيل بدلاً من الله . .

* * *

obeikandl.com

الفصل الحادي عشر

محاولات لجمع اليهود...

*

ازاح بن غوريون ، في تصريح رسمي له ، الستار عن اهداف الوطنية اليهودية (الصهيونية) اذ قال :

« ان من واجب يهود العالم ان يعودوا الى وطنهم الاول . »

وهذا التصريح لم يصدر عفواً عن رجل عادي ، بل هو صادر عن رئيس حكومة مسؤول لدولة اسرائيل ، يعتبر القائد الاول للحركة الصهيونية في العالم . وهو عندما يتحدث ، انما ينطق بما له من صلاحية مطلقة ، للتعبير عن عقيدة الصهيونية الصريحة دون مواربة او تنسيق .

وقد ادلى بن غوريون بهذا التصريح في ٣١ تموز ١٩٤٩ ، عندما كان يخطب في حفل حضره فريق من اليهود الاميركيين كان يزور اسرائيل. وهذا بعض ما جاء في خطابه : « ... ومع اننا حققنا حلمنا الاول في اقامة دولة يهودية .. فنحن ما زلنا في اول الطريق ... ففي اسرائيل الآن حوالي مليون يهودي فقط ، بينما تقيم أغلبية الشعب اليهودي خارج دولتنا. وهدفنا الان ينحصر في

حث جميع يهود العالم على العودة الى اسرائيل .. ولهذا فنحن نتوجه الى الآباء اليهود ، لكي يساعدونا في ارسال ابنائهم وبناتهم الى هذه الارض المقدسة ، وحتى فيما لو امتنع هؤلاء عن مساعدتنا ، فسنعمل على استقدام الشبيبة اليهودية لتعيش في اسرائيل وتساهم في انهاض هذه الدولة الناشئة . . »

والسؤال الآن :

ما هو عدد الشبان اليهود الذي يريد بن غوريون استقدامه الاستيطان في اسرائيل . . ؟

لقد اوضح بن غوريون هذه النقطة عند زيارته للولايات المتحدة في ايار عام ١٩٥١ ، اذ قال : «ان اسرائيل تستطيع ان تستوعب اربعة ملايين من اليهود خلال السنوات العشر القادمة » . ولكنه تعمد ان لا يشير الى المكان الذي ستتدفق منه هذه الموجة الكبيرة من المهاجرين اليهود ، والمعلوم ان موجات المهاجرين كانت تتدفق على اسرائيل دوماً من العراق واليمن وبلغاريا . مما حمل المسؤولين في ذاك الحين الى اعلان عدم رغبتهم في قبول مزيد من هؤلاء المهاجرين الفقراء والعاجزين . . بينما ابدوا في الوقت نفسه رغبتهم وترحيبهم باستقبال مهاجرين اقوياء واغنياء من الشبان اليهود الاميركيين .

وفي كانون الاول عام ١٩٥١ ، اثار بن غوريون مشكلة المهاجرين في البرلمان الاسرائيلي واتهم صراحة قادة الصهيونيين الاميركيين «بانهم افلسوا في معالجة مشاكل الدولة الجديدة . . لان معظمهم امتنع عن الهجرة الى اسرائيل . »

الى ان قال بجدة : «.. وحتى الآن لم يتقدم خمسة من هؤلاء الزعماء دفعة واحدة ليعلنوا عن رغبتهم الصادقة في الانتقال الى اسرائيل بعد قيامها.. ومع انني لا اجزم بان جماعات كبيرة من عامة اليهود ستقتدي بهم.. ولكنهم بعملهم هذا يمكنهم ان يبرهنوا ان الصهيونية ترتكز على فكرة صحيحة.. في نظر قادتها على الاقل.»

ولدفع هذه التهمة عن نفسه ، وقف « بنيمين برودي » رئيس المنظمة الصهيونية في اميركا آنذاك ، واشار الى المدارس التجارية والمهنية العشر التي انشأتها المنظمة في الولايات المتحدة لتثقيف الشبان اليهود الاميركيين مهنياً ، تمهيداً لارسالهم الى اسرائيل ، ونوّه بالاعمال الجبارة التي ما زالت المنظمة الصهيونية تسهر على تحقيقها لمصلحة اسرائيل .

ومع ذلك استمر المسؤولون في اسرائيل يوجهون الشكوى والانتقاد الى يهود اميركا وخاصة الى زعماء الصهيونية هناك ، فقام مثلاً الدكتور اسرائيل غولد شتاين ينتقد اليهود الاميركيين ويقول : « ماذا ينتظر يهود اميركا ..؟ هل ينتظرون مجيء هتلر جديد ليحملهم بالقوة على الخروج من اميركا..؟ وهل يعتقدون ان بامكانهم تجنب المآسي التي ادت بيهود اوروبا للهجرة ..؟ »

وفي بيان آخر القاه بن غوريون في البرلمان الاسرائيلي ، جرّد مشكلة الهجرة اليهودية الى اسرائيل من ثوبها الانساني ، وعالجها من ناحية وطنية بحتة ، هدفها تقوية الدولة الجديدة وانعاشها ، فذكر ان اسرائيل تحتاج الى ممرضات واساتذة ورجال فنيين لمختلف المرافق .. الى ان قال « انا متأكد من انهم سيأتون الى

هنا .. لان هناك عوامل اقتصادية تغريهم بالمجيء .. فالمهندس اليهودي في اميركا مثلاً لن يجد بسهولة عملاً في مؤسسة غير يهودية، ولايوجد في اميركا مؤسسات يهودية كافية تستوعب جميع المهندسين والفنيين .. »

ومن هذه الكلمات تتضح النيات المبيتة ، التي هدف اليها كل من هرتسل ووايزمن وسيلفر وغيرهم من الصهيونيين .

وعلى إثر بيان بن غوريون الاخير ، قصد جاكوب بلوشتاين اسرائيل لدراسة الوضع واقناع المسؤولين هناك بتبديل رأيهم في زعماء الصهيونية الاميركيين ، وعندما رجع الى اميركا كان متأكداً من ان حركة الوطنية اليهودية في خير ، وانها سائرة في الطريق التي رسمت لها .. والتي ستسفر حتماً عن جمع اليهود ضمن الدولة الجديدة.

.. وهكذا كان المسؤولون في اسرائيل يعمدون بين الفترة والفترة الى اثارة قضية الهجرة اليهودية .. كلما شعروا بفتور حركتها .. وكان مشردو اوروبا من اليهود موضع اهتمامهم بصورة خاصة : فقد بذلوا معهم مختلف وسائل الاغراء والضغط حتى يحملوهم على اعتبار اسرائيل الموطن الامين لان يستوطنوه ، ويبدأوا حياتهم العملية فيه من جديد ..

فقد كان عـــدد اليهود المشردين الذين يعيشون في مخيمات بالمنطقة الاميركية من المانيا في عـــام ١٩٤٨ حوالي ١٠٠ الف مشرد .. وكان ٥٥ الفاً منهم قد تقدموا بطلبات للدخـــول الى الولايات المتحدة . بينما فضل الباقون الهجرة الى بلاد اخرى غير فلسطين .. ومن هنا نرى ان الدعايات الصهيونية الواسعة لم

تثمر بين هؤلاء المشردين في اقناعهم باختيار اسرائيل كوطن جديد لهم . .

وفي تقرير رفع الى مؤتمر الصهيونية العالمي السنوي ، عالج الحاخام كلاوسنر هـــذه القضية بصراحة كلية ، مقترحا الوسائل الناجحة لاستمالة اولئك المشردين العنيدين فقال : «انني مقتنع بانه من الضروري اجبار هؤلاء الناس بالهجرة الى فلسطين ، لانه من الصعب ان تحملهم على فهم وضعهم الحقيقي . . فالدولار الاميركي ، بالنسبة لهم ، هو المنقذ الوحيد من التعاسة والتشرد ، ولهـذا اقترح وضع برنامج لترحيلهم بالاكراه . وهذا ليس ببرنامج جديد ، فقد استخدم في السابق ، لاسيما في اجلاء اليهود عن بولندا ، وفي قضية «الخروج» المذكورة في التوراة . . »

ويتابع كلاوسنر تقريره فيقول : « ان اول خطوة في هـذا البرنامج هي العمل على اقناع الرأي العام اليهودي في العالم بوجوب ترحيل اولئك المشردين الى فلسطين باي وسيلة . امـــا اذا اصر هؤلاء المشردون على عدم الانتقال الى فلسطين فمـــن واجب المؤسسات الصهيونية الموكلة بأمر العناية بهم ان تمتنع عن تقـــديم الكساء والطعام لهم . . »

وفي رسالة بعث بهـــا وليم هابر المستشار السياسي لشؤون اليهود الى المؤتمر الصهيوني ، هاجم مقترحات الحاخام كلاوسنر ، وقال : « ان هذه السياسة بالذات هي التي نفرت المشردين اليهود من قادة الصهيونية ، وجعلتهم يرفضون الهجرة الى اسرائيل . »

ثم اضاف انه مع موافقته التامة على ضرورة اجـــلاء هؤلاء

المشردين ، يعارض بشدة استعمال اساليب العنف لحملهم على الانتقال الى اسرائيل ..

ثم اشار اخيراً الى ان المشرفين على مخيمات هؤلاء المشردين يطبقون عليهم وسائل العنف ، كما يستخدمون الضغط والاكراه لارغام الشبان القادرين على حمل السلاح للتطوع في « الهاغانا » .

وهناك تقارير عديدة عن اعمال الارهاب والاضطهاد .. أرتكبت ضد فريق من المشردين اليهود الذين عارضوا خطط الصهيونية . وقد تسرب اكثر هذه التقارير الى ايدي المسؤولين في الولايات المتحدة ...

وافظع ما تضمنته هذه التقارير ، وصف اعمال احدى المنظمات اليهودية التي كانت موكلة بادارة عدد من مخيمات المشردين عام ١٩٤٨ ، فقد شنت هذه المنظمة حملة ارهاب عنيفة شملت جميع اليهود الموجودين في تلك المخيمات ، وارغمت الشبان القادرين على حمل السلاح على الالتحاق بالجيش اليهودي بفلسطين . والذين تلكأوا في الذهاب ، حرموا من مخصصات الطعام وسخروا بالقيام باعمال شاقة . أما الذين تمردوا على هذه التدابير فكان نصيبهم الطرد من المخيمات ومصادرة اوراقهم الخاصة . أما الشبان الذين رفضوا التطوع بجيش اسرائيل فقد امرت الادارة الصهيونية بجلدهم علناً أمام الجميع ليكونوا عبرة للآخرين ..

هذا وكانت سيارات الوكالة اليهودية تجوب مخيمات اليهود في المانيا الغربية كل اسبوع ، لتجمع الشبان القادرين على حمل السلاح ، وتنقلهم الى ميناء مرسيليا الفرنسي ، ومن هناك يتم ترحيلهم الى اسرائيل ..

وعلى هذه الصورة . بدأت عمليات جمع «المبعدين» من اليهود . .

وفي اجتماع وزاري عقد يوم ١٥ تموز عام ١٩٤٨ ، وقف رئيس الحكومة الاسرائيلية بن غوريون يقول : « ان اجيالنا السالفة ما تحملت الاضطهاد والآلام ، لترى ثمرة جهادهـــا تنحصر في جمع ٨٠٠ الف يهودي ضمن اسرائيل . . ان واجبنا يحتم علينا ان ننقذ اليهود الموجودين في البلدان العربية والاوروبية . . »

وبعد انتخابات ١٩٤٩ ، ادخل بن غوريون تعديلاً على هـذه العبـــارة اذ قال : « علينا ان ننقذ ما تبقى من شعب اسرائيل مشتتاً في انحاء العـالم . وكذلك علينا ان ننقذ ممتلكاتهم ايضاً ، لانه من غير هذين الامرين لا يمكننا اعادة بناء هذه البلاد . . »

وإبان الحوادث الداميـــة بين العرب واليهود في فلسطين ، تدفقت موجات كبيرة من المهاجرين اليهود الى المخيمات الاوروبية قادمة من بلدان اوروبا الشرقية ومن الاقطار العربية وشمـــالي افريقيـا ، وكان قسم من هؤلاء اليهود لا يرغبون في الهجرة الى فلسطين ، ولكن اساليب الدعاية والضغط التي استعملت معهم ، جعلتهم ينساقون وراء الخديعة . .

ومثال على ذلك ، ان يهود العراق البالغ عددهم حوالي ١١٠ آلاف يهودي ، وجدوا انفسهم إبان حوادث القتال ، في وضع حرج من جراء تصرفات فئـة قليلة من الصهيونيين التي كانت تعيش في العراق ، فقد فرضت السلطات العراقية على جميع اليهود رقابـــة شديدة ، ومعاملة قاسية جداً لم يألفوها من قبل . . هذا مع العلم

ان يهود العراق عاشوا بسلام في تلك البلاد آلاف السنين ، منذ ان دمر نبوخذ نصر مملكة اليهودية ، حتى انهم تمكنوا في العهد الاسلامي من اكتساب ثقة الخلفاء والقادة العرب ، ونالوا حقوقهم المدنية والدينية ومارسوها بحرية مطلقة . وفي بدء العهد الاستقلالي بالعراق ، تولى شؤون وزارة المالية ، وزير يهودي ، كما بلغ عدد المعابد اليهودية اكثر من ستين كنيساً في مختلف انحاء البلاد .

والحقيقة انه عندما زارت لجنة التحقيق الاميركية ـ البريطانية الشرق الاوسط عام ١٩٤٦ ، قابل فريق من يهود العراق اعضاء هذه اللجنة ، واستنكروا اعمال زعماء الصهيونية التي من شأنها ان تعرض مصالحهم للخطر ، وتثير عليهم حفيظة مواطنيهم العرب المسلمين في العراق .

والواقع ان الصهيونية تمكنت من ايجاد بعض العملاء لها في العراق ، وراحت تستخدمهم في نشر اهدافها التي ترمي الى انزال الضرر بالوطن الذي يسكنون .. وقد وقف اليهود العراقيون صامدين في وجه هذا التيار ، فهاجم المجلس الملّي اليهودي في بغداد الصهيونية في عدة مناسبات وتبرأ من اعمالها ، كما اصدر الحاخام « خضوري ساسون » بياناً قال فيه : « ان يهود العراق كانوا وسيظلون الى الابد اعداء للصهيونية . لان اليهود العرب في هذه البلاد يتمتعون بنفس الامتيازات والحقوق ، التي يتمتع بها بقية المواطنين . منذ الف سنة .. وهم لا يعتبرون انفسهم كجزء منفصل عن هذه الامة .. »

وعلى الرغم من هذه التحذيرات والمقاومة ، فقد نجح عملاء

الصهيونية في اشاعـــة الفوضى والقلاقل في العراق ، وكان من نتائجها ان الحاخام ساسون نفسه أهين وضرب من قبل فريق من اليهود المتطرفين .

وما ان نشبت المعارك الدامية بين العرب واليهود في ربيع عام ١٩٤٧ ، حتى تحرج موقف يهود العراق ، وشملت نقمـــة العراقيين العرب جميع اليهود . بمن فيهم اليهود المعتدلين الابرياء . وانه من الصعب جداً ، توضيح الحقائق لمعرفة الدوافع الرئيسيـة التي ادت الى توتر العلاقات بين العراقيين العرب ومواطنيهم اليهود ولكن الثابت ان اعمال اليهود المتطرفين التخريبية ، كانت سبباً مباشراً لاتخاذ تدابير زجرية بحق كافة يهود العراق وبالتالي استصدار قانون من مجلس النواب العراقي يبيح لجميع يهود العراق بمغادرة الاراضي العراقية .

وفي حديث لي مع وزير خارجية العراق توفيق السويدي في حزيران عام ١٩٥٣ قال لي مبرراً استصدار ذاك القانون ، ما نصه : « لقد بدأنا نشعر ان فريقا من يهود العراق اصبح غريبا عنـــا ، توجهه سياسة معادية لنا ، ومع ذلك مضينا ندفع عنهم كل اذى ، وتركنا لهم في الوقت نفسه الخيار بين مغادرة العراق ، او البقاء فيه شرط ان يكونوا مواطنين مخلصين ، كما كانوا في المـــاضي ، فغادر منهم خلال السنة الاولى من استصدار القانون حوالي ٨٠ الفا »

واضاف الوزير قائلا : « ولقد صرح لي ، فيما بعد ، عدد من اليهود الباقين في العراق ، والبالغ عددهم خمسة آلاف نفس ، بان معظم العائلات اليهودية التي غادرت العراق ، انما فعلت ذلك تحت

ضغط ابنائها من الشبان المتهوسين المخدوعين بمبادىء الصهيونية المزوقة ودعاياتها الرنانة .. »

ثم انه عندما انتهت عمليات هجرة اليهود من العراق ، عثرت السلطات العراقية على كميات من القنابل المتفجرة والمدافع الرشاشة والذخائر مخبأة في احد المعابد اليهودية ببغداد .

وقد فتحت هذه الهجرة الواسعة امام الاميركيين الاغنياء مجالاً للتسابق في التبرع لانقاذ هؤلاء اليهود « المضطهدين !! » . ولكن المائة الف يهودي الذين هاجروا من العراق انما يعتبرون انفسهم قد اجبروا على ترك البلاد التي عاش فيها اسلافهم واجدادهم من قبلهم ، بفعل الضغط الصهيوني . وقد اشارت دروتي تومبسون الى ذلك فقالت : « ان هؤلاء اليهود الذين ادعت الصهيونية انها انقذتهم من اضطهاد العرب في العراق ، انما يجلسون الآن على ضفاف نهر الاردن ليذرفوا الدموع السخية على ايامهم الزاهرة في ارض العراق .. تماماً كما كان يفعل اسلافهم في الماضي عندما طردوا من ارض اسرائيل واخذوا سبايا الى بابل .

وحالة يهود اليمن الذين جاءوا من صميم الجزيرة العربية ، لا تختلف ابداً عن حالة يهود العراق ..

فقد كانوا لسنوات خلت ، يقاسمون مواطنيهم المسلمين هناك السراء والضراء ، ويمارسون تجارتهم الرابحة بحرية مطلقة . بل انهم كانوا يسيطرون على معظم مرافق البلاد الاقتصادية والتجارية منذ اجيال واجيال .. ويعيشون في بحبوحة من العيش ، يمارسون تعاليمهم اليهودية الصحيحة في حرية مطلقة ..

ولقد جنت عليهم الصهيونية ، اذ نقلتهم الى اسرائيل خلال عامي ١٩٤٨ و ١٩٤٩ وقد قدرت نفقات ترحيلهم بحوالي خمسة ملايين ونصف مليون الدولار.. وتولت شركة طيران الشرق الادنى نقلهم على متن خمس طائرات من طراز «سكايماستر» .

والجدير بالذكر ان هؤلاء اليهود اليمنيين ، لم يستقلوا طائرة من قبل ، ومع ذلك تدافعوا لامتطاء متنها غير عابئين بالخوف ، مدفوعين برغبة دينية جارفة لرؤية ارض الميعاد .

وفي اسرائيل .. صدموا بالحقيقة المؤلمة التي كانت تنتظرهم في ارض الميعاد.. فقد عزلوا في اماكن منفردة ، وحرّم عليهم الاختلاط بسائر الرعايا الاسرائيليين ، بحجة انهم اغبياء وقذرين ، وغير قادرين على ممارسة اي عمل نافع ..!!

وفي اسرائيل اليوم من اليهود الشرقيين حوالي الـ ٦٦٥ الفاً اي ما يقدر بـ ٤٥ بالمئة من مجموع عدد السكان. وجميعهم تدفقوا من العراق واليمن وشمالي افريقيا وسوريا ولبنان . وقد لمست الوكالة اليهودية هذه الحقيقة عام ١٩٥١ ، فعمدت الى الحد من هجرة اليهود الشرقيين ، بينما اخذت تلح على المنظمات الصهيونية الاميركية لبذل الجهود في تشويق النخبة المختارة من يهود اميركا، ذوي الاجسام الصحيحة والمؤهلات الفنية والعلمية على الهجرة الى الدولة الناشئة .

وعلى الرغم من ركود عمليات تدفق الهجرة في منتصف عام ١٩٥١ ، فقد استمرت المساعي تبذل من اجل تشويق النخبة المختارة من اليهود على الهجرة الى اسرائيل .

وفي خطاب القاه موشى شاريت وزير الخارجية الاسرائيلية في تموز ١٩٥٢ ، امام المؤتمر السنوي لحزب العمال الاميركي ، دعا الى زيادة عدد سكان اسرائيل فقال : « ان من واجبنا ان نبذل الجهود لنجعل اسرائيل تضم ٤ ملايين يهودي .. واسرائيل الآن تتوجه بانظارها الى يهود الاميركتين الشمالية والجنوبية ، الذين تلكأوا في تلبية الواجب ، تدعوهم للهجرة الى دولتهم الجديدة ليساهموا في تعميرها وانعاشها .. »

وقد وجه شاريت دعوته الى هؤلاء اليهود لانهم كانوا حتى ذاك الوقت قانعين بالعيش هناك لا يعكر صفو عيشهم معكر ..

ومع ذلك ، فهم ما تأخروا ابداً في تقديم التبرعات الى فرع المنظمة الصهيونية في سبيل انعاش اقتصاديات الدولة الجديدة. اما الذين كانوا يرفضوا هذا التبرع ، فكانت تنهال عليهم رسائل التهديد والوعيد ..

وقد حدث منذ خمس سنوات في مكسيكو ، ان الصهيونيين هناك ارادوا ان يقضوا على كل معارضة لاهدافهم ، وان يسيطروا على مقدرات اليهود ، فقاموا خلال حوادث ١٩٤٨ الدامية ، بحملة واسعة شملت جميع يهود مكسيكو لجمع التبرعات . وحدث ان فئة من اليهود ابت ان تقبل بسيطرة هؤلاء الصهيونيين المتطرفين ، فامتنعت عن المساهمة في التبرع .. فما كان من الصهيونيين الا ان عقدوا اجتماعاً حضره حوالي خمسمائة يهودي ، واعلنوا خلاله ان هناك فريقاً من يهود هذه المدينة المارقين رفضوا التبرع .. ثم تلوا اسماء هؤلاء الاشخاص فرداً فرداً ..

وكانت النتيجة ان اتخذت بحقهم تدابير قاسية جداً، منها طردهم من جميع المؤسسات الاجتماعية ، والايعاز الى اصدقائهم بقاطعتهم، كما ارسلت اسماؤهم الى اسرائيل كيما تسجل في القائمة السوداء ليمنعوا من دخول اراضي الدولة الجديدة .

وكذلك كان نصيب كل يهودي يمتنع عن التبرع في كل من البرازيل والبيرو والاراغوي ... اما في الارجنتين فقد اذاع المجلس الملي اليهودي بياناً اعلن فيه ان كل يهودي يرفض المساهمة في التبرعات لاسرائيل ، يعتبر مارقاً ، وفي حال موته لن تقام له المراسيم الدينية عند دفنه ..!!

وقد شكا بعض اليهود هذه التدابير الوحشية الى السلطات المكسيكية المسؤولة ، ولكن السلطات نفضت يدها من هذا الامر ، معتبرة اياه مسألة يهودية بحتة لا دخل لها فيها ..

وبينما كانت المنظمات الصهيونية في الاميركتين تبذل ما في وسعها من الجهود ، صدق مجلس الكنيست (البرلمان اليهودي) على قانون جديد اطلق عليه اسم « قانون العودة » ، وبموجبه يمنح لكل يهودي الحق بدخول اسرائيل والاقامة فيها بصفة نهائية .

اما قانون الجنسية الاسرائيلية ، والذي اصبح ساري المفعول ابتداء من الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٢ ، فقد اعتبر جميع اليهود الموجودين في اسرائيل رعايا للدولة الجديدة ، ولكنه اشترط على العرب المقيمين في اسرائيل ، والبالغ عددهم ١٧٠ الفاً ان يثبتوا انهم كانوا يحملون الجنسية الفلسطينية قبل الرابع عشر من شهر ايار عام ١٩٤٨ ، حتى يتاح لهم اكتساب الجنسية الجديدة ،

كما اوجب القانون عـــلى العرب ان يتقنوا العبرية وان لا يحملوا جنسية اخرى .

وكان من الطبيعي ان لا تتوفر هذه الشروط الا في عدد قليل من الـ ١٧٠ الف عربي ..

وفي الوقت الذي كان يحرم فيه العرب الذين ولدوا في فلسطين من الجنسية كانت هذه الجنسية تمنح الى يهود اميركا او يهود اي بلد خر فور وصولهم الى اسرائيل وابـــداء رغبتهم في الحصول عليها ، دون النظر فيما اذا كانوا يحتفظون بجنسيتهم الاميركية ام انهم تخلوا عنها ...

والجدير بالذكر ان معظم اليهود الاميركيين الذين هاجروا الى اسرائيل واكتسبوا جنسية هذه الدولة ، ندموا على تسرعهم ، وقرروا العودة الى اميركا ، متخلين عن تلك الجنسية التي لم يجنوا من ورائها سوى المتاعب وشظف العيش .

ومن المناظر المألوفة في اسرائيل الآن ، ان تشاهد جماعات من النساء والرجال محتشدين امام القنصليات الاميركية ، يعلنون رغبتهم في العودة الى الولايات المتحدة ..

والجدير بالذكر ان يهود تونس ومراكش اظهروا عنـــاداً وصلابة في عدم قبول الجنسية الاسرائيلية ، لانهم يرغبون بالعودة الى املاكهم وتجارتهم في شمالي افريقيا .

وقد وصف الاشتراكي الاميركي نورمان توماس ، قانون الجنسية الاسرائيلية بقوله: « يمكن للعربي دون مبالغة ، ان يصرح بان اليهود يلجأون اليوم الى نفس الاساليب الهتلرية التي تحملوا

وطأتها خلال الحرب الاخيرة. ومن واجب الصهيونيين الاميركيين ان يعتذروا عن الخطأ الفادح الذي ارتكبه زعيمهم الاول بن غوريون في استصدار مثل هذا القانون الجائر . !

لان هذا العمل الصق بالكنيست الاسرائيلي واعضائه تهمة تجاهل او خروج الصهيونية عن تعليم التوراة الداعية للرحمة والانسانية والقائلة :

« ... عليكم ان تحبوا الغريب لانكم
انتم غرباء في ارض مصر .. وكما تعاملون
انفسكم عليكم ان تعاملوا الغريب الذي يقيم
بينكم وتحبونه محبتكم لانفسكم ... »

وقد حاول اليهود الوطنيون ان يدافعوا عن هذا القانون ، موردين حججاً واهية ومغالطات لا تستند الى اساس صحيح او منطق سليم في عصرنا الحاضر ..

كادعائهم مثلاً ان التمييز بين اليهودي والعربي من سكان فلسطين ، انما يبرره ان هذه البلاد قد استعادها اليهود قوة واقتداراً .. !

ومهما كانت العوامل والظروف التي احاطت بنجاح اليهود في تثبيت اقدامهم بفلسطين ، فلا يجوز ابداً ان يقال ان قيام اسرائيل قد تم بقوة السلاح وعن طريق الفتح .. !

وهناك حقيقة اخرى ، ما زالت تنغص على الصهيونيين عيشهم .. وهي تحديد مَن هو الصهيوني ..؟

فالصهيوني في نظر الاميركيين العقلاء هو اليهودي الذي يمنح ما لا الى يهودي آخر ، ليتولى هذا ترحيل يهودي ثالث الى اسرائيل .

وقد حاول قادة الصهيونية البارزين في الولايات المتحدة ان

يمحوا هذا التحديد من الاذهان ، فراحوا يطالبون بعضهم بعضاً بالهجرة الى اسرائيل ، ليكونوا قدوة للآخرين من عامة اليهود . وعلى الرغم من كل هذه المحاولات المجدية ، فلم يتجاوز عدد الصهيونيين الاميركيين ، الذين نزحوا الى اسرائيل واقاموا فيها بصفة دائمة الثلاثة آلاف نفس. بينما تمسح الاخرون بشتى الاعذار للبقاء في اميركا .

ولهذا السبب كان رجال الدولة الاسرائيلية يبدون امتعاضهم من عدد كبير من قادة الصهيونية ، لانهم لا ينفذون ما يبشرون به من تعاليم واهداف .. كما اصر زعماء الصهيونية في اسرائيل على ان يشمل مشروع « جمع مشتتي اليهود » جميع اليهود المقيمين خارج اسرائيل دون استثناء . الا ان قادة الصهيونية في اميركا اصروا ايضاعلى الايسري عليهم هذا المشروع ، بحجة ان وجودهم خارج اسرائيل يعود عليها بالخير العميم .

وهكذا استمر الخلاف على اشده ، بين الصهيونيين المقيمين باسرائيل ، وبين الصهيونيين الاميركيين ، الى ان وضع حد له في المؤتمر الصهيوني العالمي الثالث والعشرين الذي عقد عام ١٩٥٢ اذ توصل الفريقان الى اتفاق نهائي .. وبموجبه أنيط بقادة الصهيونية خارج اسرائيل بمهمة تدعيم الدولة الناشئة اقتصاديا وسياسيا ، وتزويدها بالعناصر النشيطة من الشبان واصحاب الكفاءات ، كما وضع بن غوريون عدة شروط طالب الصهيونيين الاميركيين بتنفيذها ، وهي تتلخص في « تقديم تعهدات جماعية من قبل المنظمات الصهيونية بمساعدة الدولة اليهودية في جميع الظروف

والحالات الاستثنائية ، وحتى ولو تعارضت هذه المساعدات مع مصلحة البلاد التي تنتمي اليها المنظمات المذكورة .. »

وهذه التعهدات انما هي تعاون مطلق دون قيد او شرط .

وقد عارض اليهود الاميركيون العقلاء هذه التعهـــدات ، وحذروا من نتائجها ، التي من شأنها ان تنفرّ يهود اميركا مـن اسرائيل.. لانه بنتيجة هذه التعهدات صار يخشى ان يتهم اليهودي بازدواج الاخلاص لدولتين معا (الولايات المتحدة واسرائيل). وهذا ما لا يرضاه الاميركي المخلص الامين على واجبه ووطنيته..

وحيال هذه التعهدات «المشبوهة» التي قطعتهـــا الصهيونية العالمية على نفسها ، تنادت الجمعيات والهيئات اليهودية الاميركية غير الصهيونية الى اجتماع عام ، واذاعت بيانا هاجمت فيه مقررات المؤتمر الصهيوني العالمي ، وشجبتها بشدة .

وعلى الرغم من هذه المعارضة الشديدة التي ارتفع بهـا صوت فريق كبير من يهود اميركا فقد استمرت الصهيونية العالمية ومن ورائها دولة اسرائيل تنشط جاهدة لتحقيق اهدافها المشتركة وهي « جمع المشتتين » من يهود العالم ، وحثهم على الهجرة الى ارض الميعـــاد .

وفي الكلمات التالية ، التي قالها رئيس الوكالة اليهودية بيرل لوكمر ، بكل تبجح وصراحـــة ، تبرز سياسة الصهيونية واضحة جلية :

« .. ان راية اسرائيل هي رايتنا . ومن واجبنا ان نتألم من اجل هذه الراية . وعلينا ان ننظر الى هذه الراية الصهيونية ،

التي بدأت تخفق فوق دولة اسرائيل ، تخفق فوق رأس كل منا .. وان كل آمالنا هي ان نراها تخفق فوق جميع الشعب اليهودي ، وذلك بعد ان ننتهي من جمع شعث المشتتين من اليهود ضمن هذه الدولة ».

ان هذه العبارات واضحة وثابتة ، لا يمكن للصهيونية ان تنكرها .. وهي تدعو يهود اميركا بصراحة تامة الى الاخلاص والولاء لراية دولة اسرائيل ..

واما اليهود الاميركيون الذين يرفضون تقبّل بدعة الاخلاص لاسرائيل ، وهم مع ذلك يساعدون حملة الصهيونية ، فانما يفعلون ذلك بدافع التهرب من مواجهة الحقائق المجردة .

***

الفصل الثاني عشر

وخرافة العنصرية اليهودية

*

لقد خاطب هتلر، زعيم النازية ومبتدعها، اليهود في المانيا وغيرها من بلدان اوروبا، عندما شنّ حملته عليهم، بقوله المشهور:

«انت لست المانياً. بل انت يهودي. وقال لليهودي التشيكي.. انت لست تشيكياً.. ولكنك يهودي».

ثم راح يوجه هذه الكلمات الى كل من يهودي فرنسا وبولونيا والنمسا..

وعندما شرعت النازية بوضع اسس العنصرية الآرية، رجعت الى اجيال غابرة عديدة تنقب وتبحث عن الدم الجرماني النقي، وكانت لا تعترف للمواطن الالماني بعنصره الآري الا بعد هذا البحث وذاك التنقيب. وهكذا كانت النازية واقعية، عندما اعتمدت على التنقيب والبحث، قبل تحديد عنصرها ونسلها. ولم تكن كالصهيونية التي منحت حق الانتساب الى اليهودية، الى كل من

كان يهودياً وشاء ان يبقى يهوديا .

وعلى الرغم من ذلك ، فليس هناك عـــالم من علماء «الجنس البشري» يقر حقيقة العنصرية اليهودية او الآرية ..

ففي عام ١٩٣٧ ، وخلال المؤتمر السنوي لجمعية علماء « الجنس البشري » الاميركية ، وُصفت العنصرية الآرية بانها عنصرية لا وجود لهـا ، وقررت ان الآرية كالسامية لا تعنيان الا لفظتين دون ان يكون لهما مدلول عنصري محدد .

والعنصرية لها مميزات واضحة تنتقل الى ابنائها بالارث ، وتظهر جلية في لون الشعر والبشرة والعينين ، وشكل الرأس ،والانف ، والقامة .

ولذلك كان من الطبيعي ان يلجأ وايزمن وغيره من مؤسسي العنصرية اليهودية الى ابتداع الوسائل للتغرير بعقول السذج من اليهود حول العنصرية ، مع اقتناع هؤلاء المؤسسين التام بان ليس هناك من عنصرية يهودية او سامية بالمعنى الصحيح .

والجدير بالذكر ان اللغات السامية الرئيسية هي العبرية والسريانية والحبشية والعربيـــة : حتى ان الاشوريين ، والبابليين المنقرضين كانوا يتكلمون لغة تمت الى السامية بصلة وثيقة ، وجميع هـــذه الشعوب التي تتكلم السامية ، انما تعود باصلهـــا الى العنصر القوقازي .

وكلمة سامية بحد ذاتها ، مشتقة من سام ، احد ابناء نوح ، وقد انحدر منه العرب واليهود ..! ومن هذه الحقيقة التاريخيـة البتراء ، اقتبس زعماء الصهيونية بدعة العنصرية السامية ، ووصفوا

بها جميع اتباع الديانة اليهودية ، مع ان معظم هؤلاء الاتباع اليهود لا يفهمون اللغة العبرية ، القديمة منها او الحديثة .

وباختلاط الشعوب بعضها ببعض عن طريق التزاوج ، فقدت على مَرّ الزمن طابعها الخاص وعنصريتها التي كانت تفاخر بها . . حتى ان العنصر الانكلو ساكسوني نفسه فقد هذه الخصائص .

وقليلون من الانكليز من يمكنهم الآن ان يدّعوا ان الدم الانكلو ساكسوني النقي ما زال يجري في عروقهم .

وهذه القاعدة تنطبق على اليهود اكثر من غيرهم ، فقد كانوا اكثر شعوب العالم اختلاطا بغيرهم ، بحكم انتشارهم في جميع بقاع الارض منذ القدم ، ولذا كان من الطبيعي ان يفقد اليهود طابعهم الذي ورثوه عن اسلافهم الاقدمين من بني اسرائيل .

وانه من المستحيل ، ان تجد يهوديا واحداً يمكنه ان يثبت انه ينحدر مباشرة من الشعب اليهودي القديم ، ومع ذلك فان فريقا من اليهود لديه الجرأة الكافية والخيال الخصب لكي يزعم انه من سلالة الاسرائيليين الاقدمين ، وهذا الفريق مقتصر على بعض الاسر اليهودية الارستقراطية القديمة .

والثابت تاريخياً ان الاسباط الاثني عشر من الاسرائيليين الذين عاشوا في ارض كنعان ، لخمسة وثلاثين قرنا خلت ، قد اندثرت آثارهم . كما ان القسم الاكبر من السبايا اليهود في بابل ، استوطن منفاه ، ولم يعد الى وطنه الاول .

والآن كيف يمكن لاي يهودي الادعاء بانه ينحدر مباشرة من اولئك اليهود الاقدمين الذين سكنوا يوماً من الايام الارض

المقدسة ؟

ان خرافة العنصرية اليهودية ترتكز على الحقيقة القائلة : « ان كلمات العبراني ، والاسرائيلي ، واليهودي ، واليهودية ، والشعب اليهودي ، انما أستعملت لمدلول واحد »

ولكن الواقع هو غير ذلك. لان هذه الكلمات تعني طوائف مختلفة عاشت في عصور مختلفة : فكلمة عبراني أطلقت على الشعب الذي استوطن ارض كنعان كما ورد ذلك في التوراة . وكلمة اسرائيلي مشتقة من الاسباط الاثني عشر لبني اسرائيل . واما كلمة يهودي فهي التعبير الذي أستعمل في التوراة وعني به الافراد الذين هم من سبط يهوذا او من رعايا مملكة يهوذا . وكانت تستعمل هذه اللفظة في عهد النبي «ارميا» اما لفظة اليهودية judaism فلم يستعملها العبرانيون او الاسرائيليون مطلقا ؛ بل ظهرت لاول مرة اثر ظهور الديانة المسيحية .

وعندما اصبحت كلمة اليهودية شائعة في الاوساط لم يكن هناك دولة عبرانية او اسرائيلية في عالم الوجود ، اذ ان الشعب اليهودي كان قد انتشر في انحاء العالم المعروف آنذاك ، واختلط افراده بسائر الشعوب .

وعن طريق هذا الاختلاط انتقلت الديانة اليهودية الى العالم الوثني ، واطمأن اليها فريق من الوثنيين فاتخذها دينا له .

وهكذا تسربت اليهودية الى اليمن واليونان وايطاليا وفرنسا وبولونيا حتى بلغت حوض الدون في صميم الاراضي الروسية .

وقد كانت الموجة الكبيرة التي اعتنقت الديانة اليهودية في

القرن الثالث عشر، اكبر هذه الموجات، وقصة «مملكة الخازار» (١) التي اعتنقت الديانة اليهودية مع حاكمها وقادتها ما زالت عالقة باذهان جميع اليهود المؤمنين .

فقد قامت هذه المملكة في القسم الجنوبي من روسيا بين نهري الفولغا والدون وامتدت حتى شواطىء بحري الاسود وقزوين ، وعرفت بالمملكة الخازارية . Kingdom of Khazaria وكان يحكمها ولاة حملوا لقب خاقان Khagan .

وفي عام ٤٤٨ غزا القائد المغولي اتيلا في زحفه نحو الشرق هذه المملكة ، ثم غزاها المسلمون بعد ذلك في عام ٧٣٧ .

وقد لعبت هذه الدولة دوراً كبيراً على مسرح السياسة في اوروبا الشرقية منذ القرن الرابع حتى الثامن ؛ فانشأت حكومة متسامحة وازدهرت التجارة فيها ، وكان لها جيش قوي مدرب . كما كانت تعتبر ملجأ امينا لجميع اليهود المنفيين بأمر من حاكم استانبول البيزنطي « ليو الثالث ».

وفي عام ٧٤٠ ميلادية اعتنق بولان حاكم المملكة الخازارية ، الديانة اليهودية وتبعه اشراف دولته ، ومن ثمّ شعبه . وهكذا اصبحت هذه المملكة كلها تعتنق اليهودية .

والرسائل المتبادلة بين حاكم المملكة والطبيب اليهودي حسدي بن شابروت احد مستشاري الخليفة الاموي الاندلسي عبدالرحمن ، تلقي نوراً على اوضاع هذه المملكة ، التي اتخذت اليهودية دينا رسمياً لها . ففي عهد الحاكم عوبديا ، ازدهرت

(١) الخازار شعب ،هو خليط من العنصر التركي الفلنكي Turko-Finnish

اليهودية هنـــاك ازدهاراً كبيراً ، فشيدت عشرات المعابد وانشئت عدة مدارس لتعليم التوراة والتلمود .. كما اصبح لا يحق لغير اليهود ان يتولى زمام الحكم فيها .

وفي عام ٩٦٩ ميلادية ، تعرضت المملكة لغزوة ثالثة ، فقد سيّرت الدولة البيزنطية وروسيا قواتهما نحو هذه المملكة ، فاقتحمت عاصمتها « إتيل » واقتسمتا اجزاءها فيما بينهما .. وهكذا اندثرت هذه المملكة اليهودية من عالم الوجود ، وتشتت ابناؤها في بلدان اوروبا الشرقية والقوقاز .

واستناداً الى هـذه الحقائق التاريخية ، فان كلا من وايز من وسيلفر ينحدران باصلهما من سلالة اولئك الخازاريين ، الذين كانوا وثنيين قبل ان يعتنقوا اليهودية .

ولا نغالي اذا قلنا ان عدداً كبيراً من المسيحيين يجري في عروقه الدم العبراني - الاسرائيلي القديم اكثر من فريق كبير من اليهود المفاخرين بعنصريتهم اليهودية .

والطريف في الامر . ان العنصرية تلعب في اغلب الاحايين ادواراً مضحكة في مصائر البشر .. مثالاً على ذلك ان قـــادة الصهيونية يقولون ان الشعب اليهودي ينتمي الى العنصر العبراني السامي .. والجدير بالذكر ان هذا العنصر نفسه ينتمي اليه اكثر الشعوب العربية في الشرق الاوسط وهي التي لا تعتنق الديانة اليهودية ..

وهؤلاء العرب « الساميون » هم اشدّ اعداء الاسرائيليين الذين ادّعوا ، باغتصابهم فلسطين ، انهم عادوا الى « وطنهم العنصري » .

هذا ولا يفوتنا ان نذكر ان ابن سعود عاهل المملكة العربية السعودية ، يعتبر نموذجا حيا للسامية الحديثة ، لانه ينحدر من سلالة ابراهيم .

أما الادعاء الذي يروج له الصهيونيون بان العرب هم اعداء السامية ، فأمر مضحك حقاً .. فان المسلمين في العالم العربي كانوا يطلقون على يهود الشرق الاوسط لقب « ابناء وبنات عمنا » ..!

ويجب علينا ، ونحن في معرض الحديث عن العنصريات الدينية ، ان نورد بعض الحقائق التي سجلها فريق كبير من علماء التاريخ . فقد قال الدكتور بيتارد ما نصه بالحرف الواحد :

« لم يعد هناك من عنصرية مسيحية او اسلامية .. حتى ولا ما يقال له عنصرية يهودية ».

وقد أيدت نفس هذا القول ، دراسات منظمة الاونسكو في اجتماعها في عام ١٩٥٢ ، كما أيده علماء تاريخ « الجنس البشري » في جامعة كولومبيا اذ قالوا :

« ان اليهود هم شعب يعتنق الديانة اليهودية ، وهو خليط من جميع الاجناس ، بما فيها الزنجي والمغولي .. .. أما يهود اوروبا فهم ايضاً خليط من عدة سلالات مختلفة ، أما ما يسمونه الطابع اليهودي الخاص ، فهو طابع شائع بين جميع شعوب بلدان الشرق الاوسط الممتدة على شواطىء البحر المتوسط . »

واستناداً الى دراسات علمـــاء تاريخ الجنس البشري ، صار بالامكان التأكيد بان اليهود ، حيثما وجدوا ، انمـــا هم يشابهون الاشخاص الذين يعيشون واياهم في بيئة واحـدة . حتى اولئك الذين يحملون اسماء اسر مشتركة ، والتي يقال انها تنحدر من سلالة

الاسباط العبرية القديمة . مثل عائلة « ليفيت او ليفي » وعائلة « كوهانين او كوهين » .

ولهذا فليس بين يهود العالم من ميزة عنصرية مشتركة فيما بينهم ؛ وفي رأي العالم فانيسبرغ،ان هناك طابعين مشتركين بين اليهود، هما السامية او البشرة السمراء والانف المدبب . وهاتان الميزتان تختصان باليهود القاطنين في حوض البحر المتوسط . اما اليهود الساكنون في شرقي اوروبا والمعروفون بالجنس « الترتري – الخازاري » فهم يتميزون بالانف الغليظ واللون الاشقر وهاتان الميزتان في رأي العالم جوليان هاكسلي ، تشابهان ميزات الحثيين الاقدمين .

وعندما زرت القدس لاول مرة عام ١٩٤٤ ، استرعى انتباهي بصفة خاصة ، هذا الخليط من الاجناس التي يتألف منها يهود فلسطين ، وقد استطعت بسهولة كلية ان اميز بين يهود « الاشكنازي » البولونيين وبين يهود شمالي افريقيا واليمن ويهود المانيا .

والجدير بالذكر ان هذا الاختلاف لم يكن مقتصراً على الجنس ولون البشرة فقط ، بل كان في الزي واللغة والعادات والعقلية ؛ وعلى الرغم من وجودهم جميعهم في بيئة واحدة آنذاك ، فقد ظلوا في الاساس يعيشون وكأنهم بولونيين ويمنيين والمان ..!

ويؤلف يهود العراق حوالي عشر سكان اسرائيل حالياً ولا يفوقهم في العدد الا يهود بولونيا ورومانيا ، ومنذ ان استقر بهم

الحال في ارض اسرائيل ، بدأوا يشكون ويتذمرون من التدابير الشاذة التي اتخذت بحقهم،ومن تفضيل يهود اوروبا واميركا عليهم

وفي تموز عام ١٩٥١ ، قام هؤلاء اليهود العراقيون بتظاهرة كبيرة في تل ابيب ، احتجاجاً على التدابير العنصرية في الدولة اليهودية ، التي تعتبر فريدة في نوعها .

وفي كل مرة كان يحدث فيها اعتداء في احد شوارع تل ابيب المظلمة كانت بعض الصحف تنسب هذه الاعتداءات الى يهود شمالي افريقيا ، القادمين من تونس والجزائر ومراكش !!

وفي تشرين الثاني عام ١٩٥١ ، تجمهر ١٣٠ يهودياً هندياً في احدى ساحات تل ابيب العامة ، وطالبوا السلطات باعادتهم الى الهند ، لانهم يُكرهون على القيام باحط الاعمال .. كما ان اليهود الاميركيين والاوروبيين يعيرونهم بانهم زنوج ..!

وعلى الرغم من كل هذا التفاوت والتناقض الظاهر في الاجناس والعناصر التي تتألف منها دولة اسرائيل . فما زالت هذه الدولة تكافح في سبيل بقائها مستندة بوحدتها على بدعة « السامية» وخرافة العنصرية اليهودية ..!

* * *

الفصل الثالث عشر

ظلال وجوه..

*

لم تكن فلسطين وحدها هي التي قسمت ، بل ان داء التقسيم شمل يهود اميركا انفسهم وشطرهم الى شطرين بفضل تلك السياسة الخاطئة .

وقد اثارت الوكالة اليهودية قضية ، لم يجرؤ احد من اليهود على اثارتها بهذه الصراحة والتحدي. اما القضية فهي قضية المواطنين الاميركيين اليهود ، وازدواج اخلاصهم لدولتين معا : اسرائيل اولاً والولايات المتحدة ثانيا) . فان الوكالة اعترفت في احدتقاريرها الرسمية ، بوجود مثل هذا «الازدواج» منذ ان قامت دولة اسرائيل ، وقالت ان هناك عقبات جمة تعترض تطبيقه لمصلحة اسرائيل ، خاصة عندما تتعارض مطالب اسرائيل وسياسة الدولة التي يعيش فيها المواطنون اليهود .

ومما قاله بن غوريون بهذا الصدد في اجتماع الجمعية التنفيذية الصهيونية بالقدس ما نصه : « من واجب الصهيونيين المنتشرين في انحاء العالم ان تكون لديهم الجرأة الكافية لكي يقفوا بجانب

اسرائيل ، حتى لو كانت حكوماتهم ضدها !. »

ان من حق كل مواطن اميركي ان يعطف على اسرائيل ويمد يد المساعدة اليها اذا شاء ذلك ، دون ان يكون لاحد حق لومه.

ولكن زعماء الصهيونية لم يكتفوا بهذه المساعـــدة او ذاك العطف ، بل راحوا ينشرون دعاياتهم الواسعة والعلنية بين يهود اميركا ، يحضونهم على بذل المساعدات المادية والمعنوية والتوجه بالولاء والاخلاص اولاً الى اسرائيل ، لانهم يهود واسرائيليون قبل ان يكونوا مواطنين اميركيين

وهذه القضية المؤلمة هي التي اريد ان اعالجها الآن بصراحة تامة.

واريد ان اسأل :

هل يسمح يهود اميركا للصهيونية ان تنجح في فصلهم عـــن وطنهم الحالي اميركا لكي تجعل مصيرهم مرتبطا رأسا بالخارج ولا علاقة له بمصير اميركا ..؟

ان الصهيونية تأخذ قضية الايرلنديين او الفرنسيين القاطنين في اميركا ، مثلاً تدعم به قضيتها ...

ولكن هذا المثل هو ضدها ..

لان الفرنسيين اولاً يؤلفون امـــة ، بينما اليهودية ليست سوى دين لا يمت للسياسة بصلة . مع العلم ان هؤلاء الفرنسيين او الايرلنديين هاجروا الى اميركا مؤخراً ، ولم يندمجوا بعد في البيئة الاميركية كاندماج اليهود فيها . وفضلاً عن ذلك ، فلم تتجرأ الحكومة الايرلندية او الفرنسية ، او احد زعمائهما ، على ان تطلب من رعاياها المستوطنين اميركا ، خيانة الدولة التي تحميهم ، او اي

طلب من شأنه ان يتعارض وسياسة تلك الدولة .

على العكس من الحكومة الاسرائيلية التي راحت تطلب ذلك الى اليهود الاميركيين بالحاح زائد ، وكأنه امر مسلم به ، وواجب مفروض على يهود اميركا ، عليهم ان يخضعوا له دون مناقشة .

والكلمة الفاصلة في هذه القضية الدقيقة ، هي في ما اعلنه الرئيس الاميركي ودرو ويلسن منذ اربعين سنة اذ قال :

« لا يمكنك ان تصبح اميركياً صحيحاً ومخلصاً ، اذا كنت تعتبر نفسك تنتمي الى طائفة معينة ، لان اميركا لا تضم طوائف وجماعات متفرقة . فالرجل الذي ما زال يعتبر نفسه ينتمي الى جماعة معينة ، لم يصبح اميركياً صحيحا بعد . وان الذي يأتي اليك ليتاجر بوطنيتك عن هذا الطريق لا يستحق ان يظلله العلم الاميركي ويحميه . . »

وعلى الرغم من هذا القول الصريح ، يطلقه احد رؤساء الجمهورية الاميركية ، فما زال في الولايات المتحدة فريق من الصهيونيين واليهود المتهوسين ، لديه الجرأة الكافية ليعلن على صفحات مجلة ناطقة باسم الطلاب اليهود الصهيونيين في اميركا ما نصه : « لاشك ان العلم الاسرائيلي هو علم دولة اجنبية وان اللغة العبرية هي اجنبية ايضا ومع ذلك فهذه الاشياء تخصنا ونتمسك بها ، لان مستقبل اليهود مرتبط ارتباطا وثيقا باسرائيل . . »

وبالفعل ابدى الصهيونيون الاميركيون ولاءهم وتمسكهم باسرائيل ، على الرغم من ان هذا التمسك وذاك الولاء كانا يضران بمصالح الولايات المتحدة .

وهذا ما حدث في عام ١٩٤٨ عندما باشرت الولايات المتحدة بتحقيق مشروع مارشال لانعاش اوروبا اقتصاديا وعسكريا . وكانت بريطانيا في مقدمة هـــذه الدول الاوروبية التي تحتاج للانعاش ، لما تحملته من خسائر جسيمة طيلة سني الحرب الاخيرة .

لقد كان من الطبيعي ان تقوم الاحزاب الشيوعية في بريطانيا وفرنسا ببذل جهود جبارة لعرقلة تحقيق هذا المشروع : بالاضافة الى العقبات التي وضعها الروس انفسهم لعرقلة عمليات الانعاش هذه، ومنها ضرب الحصار الجوي على المانيا الغربية .

اما ان يقوم الصهيونيون في قلب الولايات المتحدة بمحاولات جدية لاثارة الرأي العام الاميركي السهل الانقياد ، لمقاطعة البضائع والمنتجات الصناعية البريطانية ، وان تتضافر جهود جميع المنظمات الصهيونية الاميركية لنشر الدعايات الواسعة داعية لتشديد هذه المقاطعة ، فهو ضرب من اعمـــال التخريب « سابوتاج » يعرقل مصلحة اميركا العليا !.. ولا يختلف في نتيجته عن الاعمـال التي كان يقوم بها الشيوعيون في اوروبا .

اذ بينما كانت ملايين «العم سام» تتدفق من الخزائن الاميركية لانعاش وضع حليفته العزيزة « بريطانيا » المالي وتسوية ميزانها التجاري، كانت الصهيونية تتعمد عرقلة هذا العمل، لتحرج موقف بريطانيا وترغمها على تبديل سياستها في فلسطين .

ومرة ثانية تتدخل الصهيونية في شؤون اميركا السياسية .. وقد حدث ذلك عندما اثيرت قضية اعادة تنظيم المانيا الغربية

من الوجهتين العسكرية والسياسية، لتكون حاجزاً منيعاً في وجه التيار الشيوعي الرابض في الطرف الآخر من برلين .

لقد كان مجرد التفكير بتسليح المانيا كافيا لان تقوم له قيامة اليهود الاميركيين ، وبالتالي قلق دولة اسرائيل الناشئة ، فقد راحت الصهيونية تدخل في اذهان ساسة واشنطن ، ان تسليح المانيا سوف يؤلف خطراً يتهدد اليهود عامة واسرائيل خاصة ، ولذلك، فعندما وقعت معاهدة الصلح بين الحلفاء والمانيا الغربية ، ارسلت اسرائيل الى واشنطن مذكرة شديدة اللهجة تحتج فيها على توقيع مثل هذه المعاهدة.

وهناك حادثة اخرى ايضاً... حدثت في نهاية عام ١٩٤٩ . كانت قضية تدويل القدس آنذاك ما تزال موضوعة على جدول اعمال الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة ، وكان وزير خارجية اسرائيل موشى شاريت قد حضر الى الولايات المتحدة بنفسه ، وراح يناشد « اليهودية » لتمد يد المساعدة لانقاذ وضع اسرائيل وبذل النفوذ والجهود لعرقلة قرار تدويل القدس ، وهكذا فقد نشطت المنظمات الصهيونية واليهودية للعمل ، وراحت تطرق ابواب اعضاء الكونجرس ونظارة الخارجية ومندوبي الولايات المتحدة في هيئة الامم لاقناعهم بعدم تدويل المدينة المقدسة .

وفي اثناء مناقشة القضية في هيئة الامم قبل طرحها على التصويت ، وقفت الولايات المتحدة الى جانب اسرائيل ... ضاربة بحرمة الاماكن المقدسة عرض الحائط . ولكن ما ان طرح قرار التدويل على التصويت في الجمعية العمومية ، ونال

الاكثرية المطلوبة حتى تراجعت الولايات المتحدة عن قرارها ، واعلنت تمسكها بقرارات الاغلبية ، كما انها حذرت اسرائيل من القيام باي حركات حمقاء طائشة .

وامعاناً في احتقار قرارات هيئة الامم المتحدة ، راح رئيس حكومة اسرائيل بن غوريون يعلن في تل ابيب ، ان دوائر حكومته ستنتقل الى القدس لتتخذ منها عاصمة لدولة اسرائيل .

هذا ما حدث في اسرائيل .. اما في اميركا فقد قامت المنظمات الصهيونية تؤيد سياسة بن غوريون ، وتصرح علنا ان اليهود الاميركيين يناصرون اسرائيل في كل الخطوات التي تتخذها للدفاع عن المدينة المقدسة .

والمدهش حقاً ، ان زعماء الصهيونية نجحوا في اقناع الاميركيين المسيحيين ، وفريق كبير من ساسة اميركا ، ورجال الصحافة فيها ، بان لليهود معتقدات خاصة تختلف كل الاختلاف عن المعتقدات الاميركية . وهذه المعتقدات تفرض عليهم العزلة والتكتل كطائفة منفردة ضمن البيئة التي يعيشون فيها .

وعلى الرغم من ان الرئيس ويلسن قال كلمته المأثورة : « ان اميركا لا تتألف من طوائف وجماعات .. بل من امة واحدة . » فما زالت الصهيونية الاميركية مقتنعة بان لها مصيراً خاصاً ، يفضل على مصلحة اميركا نفسها . وعلى الرغم من خطورة هذا الاعتقاد فهو متأصل في تاريخ اليهودية الاميركية يصعب ازالته .. وقد نشأت عنه بعد ذلك تجربة جديدة مزجت بعنصرين متنافرين هما :

جوهر الدين وظلال الوطنية .

* * *

والدين في نظر الرجل اللاهوتي هو معتقد مستمد من ما وراء الطبيعة يتصل باصل الكون ومعنى الحياة البشرية ، وبمعنى اوضح ، انه يتناول اعتقاد الانسان بقوة جبارة غير منظورة تسيّر الكون ويتوجب عليه احترامها وتقديم فروض العبادة لها .

وعلى هذا . فان اليهودية هي معتقد ديني . ولكن ، قليلون هم الذين يعتبرون انفسهم يهوداً ينطبق عليهم هذا التعبير .

وقد دلت احصاءات دقيقة ، على ان عدد اليهود الذين يترددون على الكنيس لتأدية فروضهم الدينية ، لا يزيد على ٣٥ بالمائة من مجموع يهود اميركا . كما ان اغلبية النشء اليهودي الجديد لا تمارس فروضها الدينية ، ومع ذلك فهي تفاخر بيهوديتها . . !

ولا جدال ان الصهيونية عرّضت الديانة اليهودية لاخطار جسيمة ، عندما لجأت الى تحويل اتجاهاتها الدينية المتأصلة في قلوب يهود العالم ، الى فكرة سياسية ، ولا يمكننا الآن ان نعرف نتائج هذا التحويل واخطاره على هذه الديانة وما اذا كانت اليهودية ستتمكن من ان تعيش كقوة دينية ، ام انها ستزول من الوجود بعد ان حققت اغراض دعاة الصهيونية . . ؟

واعتقادي الراسخ هو ان قلب اليهودية العالمية ما يزال ينبض بالايمان الصحيح في عبادة الله ، ولست اشك بانها لن تتوقف عن اداء رسالتها كديانة قديمة موحدة ادت للانسانية ، منذ الازل ، خدمات لا تنكر .

وفي كلمات النبي ميخـــا عبرة لاولئك الذين يريدون دفن اليهودية، ثم ذرف دموع التماسيح عليها، ويريدون جمع الدولارات على جثتها لانعاش وطنيتهم اليهودية الزائفة والزائلة ...

فقد قال النبي ميخا :

« قد اخبرك ايهـــا الانسان ما هو صالح . وماذا يطلبه منك الرب الا ان تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع إلهك » .

وكذلك في كلمات النبي اشعيا عندما يقول :

« هكذا قـال الرب . احفظوا الحق واجروا العـدل . طوبى للانسان الذي يعمـــل بهذا ، وطوبى لابن الانسان الذي يتمسك به »

والحق يقال ان هذه التعاليم ، هي الاهداف التي لم تحققهـــا اليهودية كدين .. ولهذا فالحاجة لانعاش اليهودية روحياً ، ملحّة جداً ، خاصة في هذا الزمن . وهذا العبء يقع على عاتق اولئك اليهود الذين ادركوا اهـــداف الصهيونية المادية ، وحملوا راية مكافحتها ، ومعارضتهـــا ، لان من واجبهم القيام بحملة تطهير واسعة تشمل اليهودية من الاساس ، لكي تنقذها من الادران والعناصر الفاسدة التي راحت تستغل هذه الديانـــة ، لتحقيق اغراضها المادية غير عابئة بالاخطار التي تثيرها حول اليهودية .

وفي هذا المعنى ، قد يعتبر قيام دولة اسرائيل، تدخلاً من العناية الالهية لانقاذ الديانة اليهودية .

فقد اصبح الآن بامكان اولئك اليهود الذين يتمسكون بقيام دولة مستقلة ، ان يذهبوا الى اسرائيل ، على ان يُترك الخيار لكل يهودي اميركي ، اما ان يحتفظ باميركيته ويهوديته كعقيدة دينية فقط ، واما ان يكون مواطنا اسرائيليا من رعايا الدولة اليهودية في الشرق الاوسط .

اما ان يبقى اليهودي في اميركا يدين بالولاء لاسرائيل ، ويحمل جنسيته الاميركية فهذا ما لا تقبله الوطنية الصحيحة ولا المنطق السليم ..

ان على اليهود الاميركيين الذين يفضلون مصالح اسرائيل على مصلحة الولايات المتحدة العليا ، ان يسرعوا بالرحيل الى اسرائيل لان هذه هي الطريقة الشريفة الوحيدة التي يجب ان يسلكوها ..

امّا اليهود الاميركيون الذين يتمسكون بشعائر دينهم الصحيحة ويريدون ان يمارسوها بحرية، فيمكنهم العيش في هذه البلاد (اميركا) شرط ان يقطعوا جميع علاقاتهم بالصهيونية واسرائيل. لان اليهودية لا يمكنها ان تعيش الا عندما تقطع نهائياً علاقتها باسرائيل وتتحرر من قيودها.. كما تحررت البروتستانتية الاميركية من انكلترا .

نصائح مخلصة برسم اليهود

ولا بد لي قبل ان اختم كتابي هذا من توجيه بعض النصائح المخلصة الى المسؤولين بدولة اسرائيل ومن ورائهم الصهيونيين المندفعين وراء خرافة العنصرية اليهودية ، وهذه النصائح هي حقائق ناصعة مستمدة من الواقع المجرد لوضع اليهودية واسرائيل معاً .

ان اسرائيل محاطة بثلاثين العرب من كل جهة ، فمن واجبها ان تأخذ درساً لم يتعلمه يهود فلسطين من قبلها ، وهو ان وضعها الجغرافي يحتم عليها ان تعيش بوئام وصداقة مع جيرانها العرب لتتمكن من الاستمرار في الحياة ...

لان العرب ما زالوا حتى اليوم يعتبرون انفسهم في صراع مستمر مع اسرائيل والصهيونية التي ساءت اليهم ، بما قامت به من وحشية وارهاب وتشريد مليون عربي واغتصاب ممتلكاتهم . والقضايا التي على اسرائيل ان تعالجها في الوقت الحاضر لاقرار السلام في الارض المقدسة هي :

اولا : تجنب الوقوع في نفس الاخطاء الماضية .

ثانياً : الاقلاع عن مطالبة يهود العالم وخاصة يهود اميركا بالاخلاص لدولة اسرائيل لان الدولة التي لا تقف سيطرتها عند حدودها الطبيعية ، ليست دولة طبيعيه ولا يمكن ان تعيش بوئام وسلام مع جيرانها .

ثالثاً : على اسرائيل قبل كل شيء ان تنفذ قرارات هيئة الامم

المتحدة ؛ واهم هذه القرارات انشاء نظـــام دولي للاشراف على القدس ، وتسوية قضية اللاجئين العرب والتعويض عليهم لان على اسرائيل وحدهـا تقع مسؤولية تشريد اللاجئين العرب ، ومن واجبها الانساني ان تخفف من ويلات هؤلاء التعساء المشردين .

وعن هذه الطريق وحدها يمكن لليهـود ان يعيشوا في سلام وصداقة دائمة مع العرب ، بعد ان يقضى على الاصـوات الناشزة من المتهوسين الصهيونيين المطالبين بالتوسع في البلاد العربيـــة لاشباع اطماعهم وشهواتهم في رؤية الدماء تسيل انهاراً في الارض المقدسة مرة ثانية !

— انتهى —